

الرد

على كتاب

(أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للفقاري)

الدكتور عبدالقادر عبدالصمد

دار الوحدة
الإسلامية

«المكتبة التخصصية للرد على الوهابية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرد على كتاب

«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، للقفاري»

تأليف:
الدكتور عبدالقادر عبدالصمد

دار الوحدة الإسلامية
بيروت

دار الوحدة الإسلامية

المؤلف عبد القادر عبد الصمد

الطبعة الأولى

مطبعة التوحيد

سنة ١٤٢٢ هـ. ق - ٢٠٠٢ م

كلمة الناشر:

- في مواجهة الناعق بالفرقة والاختلاف -

أيها القاري الكريم:

كُنَّا نودُّ أن يكون الجُهد الذي بُذل والوقت الذي استُغرق في إنجاز هذا البحث قد أنفقا في بحث واحدة من المسائل الإعتقادية أو الفقهية التي لطوائف المسلمين نظر واحد أو متقارب فيها، لتوضيحها وتجلية أبعادها والتأكيد عليها، من أجل لفت نظر وانتباه أبناء الإسلام إلى الأرضية المشتركة الواسعة بينهم على صعيدي الإعتقاد والفقه والأصعدة الأخرى.

أو أن هذا الجهد وهذا الوقت كانا قد أنفقا في بحث واحدة من المسائل الخلافية، في ضوء العرض الشامل لأدلة جميع الطوائف الإسلامية فيها، ومناقشة هذه الأدلة بموضوعية ودقة علمية وعدم انحياز مسبق لرأي من الآراء، حتى يطلع المسلمون على مناشيء وأبعاد وحقائق قضاياهم التي اختلفت آراؤهم فيها، ويتعودوا على أجواء المناقشة العلمية، والمنهج الموضوعي، والانتفتاح على الرأي الآخر برحابة صدر وإقبال، إذ الأصل في المسلم أن يكون ابن الدليل والحجة والبرهان، لا ابن الرفض المسبق، والتفوق، والتعصب الأعمى وعدم الانتفتاح.

والصف الإسلامي الواحد المرصوص الكيان بحاجة فعلاً إلى بحث

(٦) كلمة الناشر

هذين النوعين من المسائل، لأنَّ كُلاًّ منهما - في نظرنا - في ضوء الشرائط الصحيحة ذو أثر إيجابيٍّ في ترسيخ دعائم وحدة هذا الصفِّ المقدَّس و رصِّ كيانه.

لكنَّنا مع الأسف - في الوقت الذي تتعاضم حاجة هذه الأمة الإسلامية إلى من يجمع شملها، ويوحِّد كلمتها، ويوثِّق فيها عُرى المحبة والألفة والتعاطف، ويوجِّه أنظارها إلى أعدائها الحقيقيين - نشاهد بين فترة وأخرى من ينبعث مدفوعاً من (قرن الشيطان)، ناعقاً بالخلاف والاختلاف، لإثارة دواعي الرِّيبة والافتراق، مُصرّاً على التعامي عن الأرضية المشتركة الواسعة للوحدة الإسلامية!

و من سلسلة إصدارات (قرن الشيطان).. ما نعق به ناصر القفاري في كتابه (أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض و نقد). و حيث لا بدّ لردِّ كلِّ ناعق بفرقة و بباطل... من منادٍ بالحقِّ و المحبة و الوحدة.. كان هذا الكتاب المختصر (مدخلاً) لردِّ تفصيليٍّ يعقبه إن شاء الله تعالى.

و دار الوحدة الإسلامية - و هي تقوم بنشر هذا المدخل و تشكر الله على هذه النعمة - لا تدَّعي لنفسها حقَّ نشره، بل تدعو كلَّ مسلمٍ غيورٍ على دينه و على الحقِّ و الحقيقة، في وسعه و مقدوره المساهمة في توسيع دائرة نشره من خلال آية وسيلة من وسائل النشر و الإتصال، أن لا يألُو جهداً في القيام بواجبه في هذا الإطار، من أجل كشف الغطاء عن مُحيّا الحقِّ الجميل الوضاء، و لأجل إمطة اللثام عن قبح وجه الباطل الدميم المُظلم، و عن نُكر و بشاعة طنين «مكبرات صوت الشيطان».

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

دار الوحدة الإسلامية

المدخل

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره و دليلاً على نعمه و آلائه،
و الحمد لله على هدايته إيانا إلى صراطه المستقيم باتباع خاتم
المرسلين محمد ﷺ، و التمسك بما أوصى ﷺ الأمة أن تتمسك به:
الثقلين، كتاب الله و عترته أهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ.
ثم الصلاة و السلام على أشرف الخلائق أجمعين محمد
المصطفى ﷺ و على آله الغر الميامين و صحبه المنتجبين.

وبعد:

فإنَّ المتبَّع لتأريخ العلاقات ما بين الغرب و العالم الإسلامي
يلاحظ حقداً مريراً ظاهراً يملأ صدر الغرب إلى درجة الجنون،
و يصاحب هذا الحقْد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في
النفسيّة الأوربيّة.

و لعلّ في ذكر بعض النصوص ما يكشف بوضوح عن هذه الحقيقة:
يقول لورنس براون: «إنَّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجهه

(٨) المدخل

الإستعمار الأوربي!»^(١)

و يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في وقته: «مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولأن تكون هي نفسها في أمان!»^(٢)

و يقول المستشرق غاردنر: «إنّ القوّة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا»^(٣)

و يقول أشعيا بومان في مقال نشره في مجلّة العالم الإسلامي التبشيرية: «إنّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها: أنّ الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً! بل إنّ أتباعه يزدادون باستمرار... ومن أسباب هذا الخوف أنّ الذين من أركانه الجهاد!»^(٤)

و يقول بن غوريون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق: «إنّ أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمّد جديداً»^(٥)

و منذ ابتداء الغزو الفكري الغربي لعالمنا الإسلامي حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان الهمّ الأكبر للإستكبار الغربي هو إبعاد المسلمين عن الإسلام، و تشكيكهم بمعتقداتهم، و تنفيرهم من أخلاق الإسلام و آدابه و أعرافه، و ترسيخ أكذوبة

١- راجع: كتاب «التبشير والإستعمار: ١٨٤

٢- راجع: كتاب «الإسلام على مفترق الطرق: ٣٩.

٣- راجع: كتاب التبشير والإستعمار: ٣٦ / ط ٤.

٤- نفس المصدر: ١٣١.

٥ جريدة الكفاح الإسلامي / سنة ١٩٥٥ م / عدد الأسبوع الثاني من شهر نيسان.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٩)

الغرب في أنّ التخلّف و التحجّر ناتجان من نواتج الاعتقاد بالإسلام و الالتزام به!

و منذ ذلك الحين بدأ الفساد ينتشر في جميع مجالات حياة الأمة الإسلامية، فانتشرت الأفكار الكافرة، و تفسى التشكيك بالقرآن،^(١) و طغى التراخي عن الالتزام بأقدس الفرائض (الصلاة) في صفوف أبناء الأمة، ثمّ شاعت الفحشاء و الخمر و أوكار البغاء و المراقص و الملاهي، حتى صار ابن الاسلام الملتزم بتعاليم و أحكام دينه غريباً في وطنه بل غريباً في بيته!

و إلى ذلك الحين لم يكن الهمّ الأكبر للغرب أن يضرب المسلمين بالمسلمين و يثير بينهم دواعي الفرقة و الاختلافات المذهبية - وإن كان هذا من أهدافه و غاياته - بل إنّ همّه الأكبر كان في إبعاد المسلمين عامّة عن الإسلام، فسعى إلى نشر النعرات و الأفكار القومية التي مرّقت المسلمين كلّ ممزّق، كما ساعد الغرب بمعونة اليهود كثيراً في نشر الأفكار الإلحادية و الشيوعية في عالمنا الإسلامي، و قد اقترن كلّ هذا بجهود عظيمة بذلتها طلائع الاستكبار التبشيرية و مؤسساته الإقتصادية و جمعياته (الإنسانية!) لنشر الفساد بصورة مفجعة في عالمنا الإسلامي من أجل تمييع شخصية الإنسان المسلم و مسخه بتحويله إلى كائن لا يهدف في كلّ أموره إلّا

١- يقول المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن و هو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أنّ الصحيح في القرآن ليس جديداً، و أنّ الجديد فيه ليس صحيحاً» (راجع: التبشير والاستعمار: ٤٠ / ط ٢).

إلى بلوغ الشهوة!

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥ م: «إنَّ مهمّة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإنّ في هذا هداية لهم و تكريماً. إنّ مهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله، وبالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها.

و بذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له: ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام، إنكم أعددتهم نشأ لا يعرف الصلة بالله! ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الإستعمار، لا يهتمّ بعظائم الأمور، و يحبّ الراحة و الكسل، و يسعى للحصول على الشهوات بأيّ أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة!...»^(١)

و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، و سقوط الدولة العثمانية،^(٢) سيطر الغرب سيطرة مباشرة على العالم الإسلامي، و مزّقت أقالام

١- كتاب (قادة الغرب يقولون: دمرُوا الإسلام، أبيدوا أهلُه / جلال العالم: ٧١) نقلاً عن كتاب: جذور البلاء: ٢٧٥.

٢- كان الغرب يخشى حتى من إسم الخلافة الإسلامية المتمثّلة - آنذاك - بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بُعد حكمها عن روح الإسلام إلّا أنّ الغرب كان يخشى أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية الى خلافة حقيقية تهددهم بالخطراً

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١١)

المنتصرين في هذه الحرب خريطة قلب العالم الإسلامي إلى أقاليم متفرقة تحكمها حكومات تأتمر بأمر الإستكبار الغربي و تخشى عواقب عصيانه، فصار الإستكبار الغربي - فضلاً عن امتصاصه لكلّ خيرات العالم الإسلامي - يخطّط لحياة المسلمين في جميع جوانبها كما يشاء!

و ظنّ الإستكبار بعد طول الأمد أنّ الأمر قد استقرّ له في عالَمنا الإسلامي - و الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى! - حين جرت الأمور في دنيا الإسلام كما خطّط لها الاستكبار و كما شاء! حتّى فوجيء بما لم يكن يحتسب أو يتوقّع هو و عملاؤه و جميع أجهزة الرصد و المراقبة الإستكبارية المنتشرة في العالم الإسلامي التي كانت تحصي على هذه الأُمَّة المنكوبة حتّى أنفاسها!

فقد شهد العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة - و هو آنذاك على مشارف نهاية ذلك القرن - حدثاً ليس كمثله حدث معاصر في الجلال و الجمال و الروعة و الهيبة و الأهميّة، ذلكم هو حدث انتصار الثورة الإسلامية في إقليم إيران الظافر بقيادة المرجع الديني الكبير و القائد الفدّ آية الله العظمى السيّد روح الله الموسوي الخميني قدّس الله نفسه الزكيّة.

و قد انبهر العالم الإسلاميّ خاصة و العالم عامّة آنذاك بعظمة ذلك الحدث الكبير، و تأثّر الجميع به (كلُّ بحسبه)، فقد انبعثت في روح الأُمَّة الإسلاميّة آمال عودة حاكميّة الإسلام من جديد و بقوة بعد يأس و خمود، و ارتعدت فرائص الحكومات العميلة في بلاد

(١٢) المدخل

المسلمين خوفاً من قيام الأمة ضدها في أقطارها، و وجد مستضعفو العالم في هذه الثورة خير مثال يتأسى به في التحرك نحو الخلاص من هيمنة الاستكبار والطواغيت، و فزع المستكبرون من آثار هذه الثورة المباركة، و هرعوا يخططون لمحاصرتها في أضيق دائرة ممكنة، فضلاً عن مخططات القضاء عليها!

و حين شعر الاستكبار الغربي أنّ الجهود المريرة التي بذلها خلال ما يقارب قرناً و نصف قرن في إبعاد المسلمين عامة عن الإسلام قد ارتدّت خائبة إلى نقطة الصفر بانتصار ثورة إسلامية في بلد إسلامي يمثل هذه الجماهيرية و الروعة و الجلال، و قد تأثر بها و اندهش لروعتها المسلمون جميعاً و غير المسلمين، و أصبح حتّى الانسان الغربي الذي أرقق روحه تيه و ضلال الفكر المادي يتساءل بإعجاب و انبهار عن الإسلام و عن قدرته العجيبة في صناعة الانسان الإلهي المبدئي... حينذاك صار جُلّ و أكبرهم الاستكبار الغربي على صعيد مواجهة الإسلام فكرياً و إعلامياً - فضلاً عن المواجهة السياسية و الاقتصادية - أن يعمل على مستويين رئيسين هما:

١- تشويه صورة هذه الثورة الإسلامية و المذهب الإسلامي الذي تتبناه هذه الثورة، و هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، في أذهان المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى بصورة خاصة، و في أذهان غير المسلمين في جميع أقطار العالم الأخرى بصورة عامة، من أجل محاصرة هذه الثورة الإسلامية في إيران منعاً لامتداد تأثيرها و انتشار شعلتها في البلاد الإسلامية الأخرى أو في

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١٣)

بلدان مستضعفي العالم عامة.

٢- تشويه حقيقة الإسلام - بأسلوب إعلامي و تقني متفوق - في ذهنية الإنسان الغربي، منعاً من تأثره بالإسلام وبالروحية الإسلامية.

و قد لاحظنا - في بلداننا العربية و في غيرها - التجسيد العملي لهذا التوجه الإستكباري الجديد على - هذين المستويين الرئيسين - في إشارات عملية عديدة، منها على سبيل المثال:

※: صدور كتب يستظهر مؤلفوها الموضوعية في دراسة المذهب الشيعي، ولكنهم يستبطنون التضليل و التشكيك و تشويه حقيقة هذا المذهب الحق، كما في محاولة الكاتب المصري محمد عمارة في فصل (الشيعة الإثني عشرية) من كتابه (تيارات الفكر الإسلامي) الذي صدر بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

※: التشكيك و التضليل الإعلامي و السياسي و الديني فيما يتعلق بموضوع الإمام المهدي عليه السلام، من أجل حرف البشرية عامة و المسلمين خاصة عن الإهتمام بهذا المنقذ الموعود و بحقائق موضوعه، في حقائبه و حتمية انتصاره، و هيمنته على العالم، و نشره العدل التام على الأرض كلها من خلال تطبيقه الكامل للإسلام المحمّدي الخالص، كلّ ذلك منعاً من التوجه إليه و الإيمان به، و يلحظ هذا التشكيك و التضليل في أنشطة كثيرة لعلّ أبرزها الفيلم السينمائي الذي ادّعوا بأنه تسجيل و ثائقي لنبؤات (نوستر أداموس)، و قد لا يخلو هذا الفيلم من تشويه لهذه النبؤات الغامضة

(١٤) المدخل

نفسها بما يخدم دوافع العداء للدين الإسلامي الحنيف. و من هذه الأنشطة أيضاً محاولات إصدار كتب التشكيك بموضوع الامام المهدي عليه السلام بأقلام مأجورة محسوبة في الظاهر على الاسلام عامة وعلى التشيع خاصة بأسلوب سافر كما في محاولات (أحمد الكاتب) التشكيكية!

*: صدور كتاب «الآيات الشيطانية» لمؤلفه المرتد الهندي الانجليزي المرتع و المنشأ (سلمان رشدي)، الذي أساء فيه إلى النبي الأكرم محمد ﷺ إساءات فاحشة، و قد طُبِع هذا الكتاب و انتشر في العالم الغربي بأعداد كبيرة جداً، الأمر الذي يكشف عن الدافع من وراء نشره بهذا الإتساع، و ما ذلك الدافع في الأساس إلا تشويه حقيقة الإسلام و نبي الإسلام ﷺ في ذهن الإنسان الغربي أولاً و بالأساس من أجل تحصينه عن التأثير بالإشاعات الإسلامية التي انبعثت جديداً نتيجة انتصار الثورة الإسلامية في ايران.

ولازالت رياح الغزو الفكري الغربي الكافر تهبّ بقوة و شراسة على عالما الإسلام خصوصاً في أيامنا الحاضرة هذه، حيث أحكمت وسائل الإعلام الكافر قبضتها على كلّ العالم بطريقة حديثة و متفوّقة و شاملة، و لازلنا نطلع في كلّ يوم على خائنة منهم في وسائلهم الإعلامية المسموعة أو المرئية أو في عالم الكتب!

و ظلم ذوي القربى أشدّ و ألم...

في الوقت الذي تحتم المسؤولية الشرعية على جميع المسلمين

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١٥)

و على علمائهم خاصة أن يقفوا صفّاً كالبنيان المرصوص في مواجهة الغزو الفكري الغربي الكافر، و أن يفتحوا على بعضهم البعض على أساس المشتركات الدينيّة الواسعة بينهم في الأصول و الفروع، على طريق «الوحدة الاسلامية»،^(١) لازالت تُدهشنا بين حين و آخر محاولات تصدر عن إخوان لنا في الدين تُضعف من قوّة الكيان الإسلامي، و تشتّت الكلمة و تشقّ عصا الوحدة الإسلامية المنشودة!

و إذا كانت هذه المحاولات متوقّعة و مألوفة من قبل الغرب الكافر في إطار حملاته المسعورة على الإسلام، فهي مستغربة و غير متوقّعة الصدور عن بعض أفراد العائلة الإسلامية الواحدة!

لقد استغرب الكثير من المؤمنين من ذوي الغيرة الدينية في بلادنا الإسلامية العربية و غير العربية لصدور كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» لمؤلف يُسمّى «ناصر بن عبد الله بن علي القفاري» من أهل الحجاز، و هو خرّيج «جامعة محمد بن سعود»، و قد نال هذا المؤلف بهذا الكتاب شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى من هذه الجامعة!

١- يقول القس سيمون: «إنّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، و تساعد على التخلص من السيطرة الأوربية، و التبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير إتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلامية» (راجع: كتاب: كيف هدمت الخلافة: ص ١٩٠)، و يقول المبشر لورانس براون: «يجب أن يبقى العرب و المسلمون متفرّقين، ليبقوا بلاقوة و لاتأثير» (راجع: كتاب: جذور البلاء: ٢٠٢)

لقد كان المأمول أن يكون هذا الكتاب خصوصاً وهو يحمل هذا العنوان دراسة موضوعية علمية متفتحة هدفها الحقيقة الإسلامية، وغرضها تعريف المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى بحقيقة مذهب أهل البيت عليه السلام بأسلوب تحقيقي رشيق غايته التقريب بين أبناء الإسلام، خصوصاً وهو يصدر عن مثل هذه الجامعة القائمة في إقليم إسلامي مهم!

غير أن من يقرأه لا يحتاج إلى كثير تأمل ولا إلى عميق تدبر حتى يخرج بهذه النتيجة وهي أن الكتاب واحد من تلكم الكتب التي أرادها الاستكبار الغربي أن تصدر، في مجرى تيار الحملة التشكيكية بالمذهب الشيعي، مذهب أهل البيت عليه السلام، ذلك لما في منهج هذا الكتاب ومحتواه من «هوية الانتماء التام» للحملة المسعورة التي شنها الاستكبار الغربي وعلاؤه الفكريون على مذهب أهل البيت عليه السلام منذ بداية الثمانينات من القرن العشرين الميلادي.

و في جامعة «محمد بن سعود» قسم من أقسامها عنوانه «قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة»، ويتبادر إلى ذهن من يسمع بهذا القسم أن لهذا القسم جملة رفيعة من المحققين ذوي الاختصاصات المعمّقة في معرفة أنواع المذاهب والأديان، وذوي الإطلاع الدقيق على معتقدات هذه المذاهب ونظراتها، وحدود الاتفاق والاختلاف فيما بينها، من خلال معرفة لا يعتورها خلط ولا يكثر فيها الإشتباه، معرفة لم تنشأ عن مطالعة ثقافية عامة حصدت نتائجها

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١٧)

من غثّ و سمين، و خيال و حقيقة، بل معرفة نشأت عن تحقيق علمي ميداني في نفس تراث و مباني تلك المذاهب و الأديان، و تحصّلت ركاثرها و توثّقت مستنداتها بعد مناقشات و محاورات علميّة طويلة و كثيرة مع نفس علماء و مراجع تلکم المذاهب و الأديان... و هذه هي سيرة السلف الصالح من محقّقي و علماء هذه الأمّة المرحومة في طلب الحقيقة و كشف الأستار عنها، فقد كانت لهم إفادات و استفادات عظيمة من خلال محاورات و مناظرات و ندوات علمية فيما بينهم، لاتزال الأجيال تنهل من معينها منذ سجّلت و طبعت في كتب حملت إسم المناظرات أو الإحتجاجات أوالمراجعات.

بل إنّ هذه السيرة العلمية في المناظرة و معرفة الرأي الآخر من أهله لازالت مستمرة و معمولاً بها حتّى أيامنا الحاضرة، و في مختلف العلوم، كعلم الطبّ و الهندسة و غيرهما، إذ لم تنزل الاجتماعات و الندوات و المؤتمرات المتخصصة تعقد كلّ حين لعرض ما استحدث من آراء و نظريات، لنقدها و سدّ ثغراتها، أو لإثبات جدارتها بالاعتماد و التبنّي الكامل، و في مثل هذه المحافل يتمّ تبادل الأفكار بكلّ إحترام و انفتاح، من دون أن يستهمّ طرف طرفاً آخر بالجهل و التحجّر و التعصّب، أو ينال منه لمجرّد عدم موافقة رأيه و عدم القبول به!، بل تجد الأطراف العلمية في مثل هذه المحافل يتحاورون بالمستوى اللائق بالروح العلمية إلى أن يتوصّلوا إلى الرأي الصائب فيقبلوه و يأخذوا به!

(١٨) المدخل

لكنّ من يقرأ كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» لهذا الرجل القفاري! وهو بحسب شهادة الدكتوراه من درجة الشرف الأولى التي نالها من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة محققّ لامع في هذا القسم!! - يخيب ظنّه وأمله في المستوى العلمي لهذا القسم! بل وفي المستوى العلمي للجامعة التي حوت هذا القسم!

ذلك لما في هذا الكتاب من:

✽: التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت عليهم السلام وكلمات علماء الشيعة ومفكريهم.

✽: الإفتراء على الشيعة الإمامية واتهامهم بما ليس فيهم.

✽: الإستناد إلى الأحاديث الضعيفة والشاذّة عند الشيعة.

✽: الخلط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب أهل البيت عليهم السلام) ومذاهب أخرى.

✽: التنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب.

✽: الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمة في المباحث.

✽: الإستشهاد بما في كتب المتعصّين الحاقدين على مذهب

أهل البيت عليهم السلام.

✽: عدم التفريق بين المذهب كراي ونظرية وبين عمل

المنتسبين إليه.

و لعلّ من الأفضل - قبل الدخول في النقد التفصيلي لمباحث

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١٩)

هذا الكتاب - أن نتعرض لتلك الملاحظات الآتفة بشيء من العرض والإيضاح الموجز، مدخلاً لنقد أصل الكتاب و مناقشة مباحثه بالأدلة التفصيلية بعون الله العزيز القدير، لئلا يتخذ هذا الكتاب من لم يطلع على مذهب الشيعة الإمامية مصدراً من مصادر هذا المذهب! كاشفاً عن أفكار و نظرات علمائه! و لئلا يتوهم أحد أن هذا الكتاب - مع ما يبدو فيه من كثرة تتبع - يحكي بصدق عن معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم خاتم الأنبياء و الرسل محمد صلى الله عليه وآله بكتاب الله المجيد في حديث الثقلين - الذي تسالمت الأمة جمعاء على تواتره و قطعية صدوره - ففي مسند أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: الثقلين، و أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١)

و لنأت الآن على عرض هذه المؤاخذات واحدة بعد أخرى:

١- مسند أحمد: ٥: ١٨١ و أنظر صحيح مسلم / كتاب الفضائل: ٤: ١١٠.

* : التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت عليهم السلام

و كلمات علماء الشيعة ومفكرتهم

من الأساليب التي يتعمدها الكتاب الحاقدون على الشيعة الإثني عشرية المتمسكين بمذهب أهل البيت عليهم السلام، أسلوب تحريف المعاني المستفادة من رواياتهم وأحاديثهم عليهم السلام، أو من كلمات علماء الشيعة الإثني عشرية، وذلك بأن يقطع الكاتب جزءاً من متن الرواية أو الحديث أو الكلمة، لأنه يشعّر بمعنى مغاير لمعنى المتن كله، فيأخذه ابتغاء الفتنة، ويهمل ذكر بقية المتن ليحول دون ظهور و اكتمال المعنى الحقيقي الذي يتشكّل من مجموع متن الرواية أو الحديث أو الكلمة. ومن المؤسف جداً أنّ دكتورنا المؤلف ناصر القفاري قد اجترح في كتابه هذه الخيانة أيضاً، ومع ذلك فقد منحته جامعة «محمد بن سعود» على كتابه هذا شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى!

و نقول في إطار حسن الظنّ بهذه الجامعة: لعلّ ذلك قد خفي على مسؤولي هذه الجامعة، و نأمل أن تكون سطورنا هذه ملفتة لانتباههم، ليقفوا من ناصر القفاريّ موقفاً جديداً صحيحاً صريحاً، فيسلبوا منه هذه الشهادة حفاظاً على سمعة الجامعة و صيانة لها من

(٢٢) التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت

لصوق تهمة الخيانة بها، و من كلّ ما لا يليق باسم جامعة دينية في إقليم إسلامي مهم!

و لنأت على نماذج من هذه التقطيعات و التحريفات:

النموذج الأول:

الشيعة يصنون انفتهم بصفات الله و يسمونهم باسمائه!

يقدم ناصر القفاريّ مقدّمة في هذا الصدد فيدّعي بأنّ الشيعة قد شبهوا الخالق سبحانه بصفات المخلوقين، و أنّهم لم يكتفوا بذلك بل تطوّر الأمر إلى وصفهم بعض البشر (الأئمّة) بصفات الله الواجبة له سبحانه! و نقل عن علماء من الشيعة بعض الروايات التي يظهر منها هذا المعنى، فقال في الجزء الثاني من كتابه^(١)، ص ٦٧٧: «و قد ذكر المجلسي ستّاً و ثلاثين رواية تقول إنّ الأئمّة هم وجه الله، و يد الله، و في رجال الكشيّ و غيره، قال عليّ - كما يفترون - «أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا الأوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن،...»

ليُفهّم قاريء كتابه و يوحي إليه أنّ هذه الرواية و نظائرها تثبت لعلّي أمير المؤمنين ﷺ نفس صفات الله سبحانه و أسمائه الحسنی!

فهو يخاطب القاريء - في الجزء الثاني ص ٦٧٩ - قائلاً: «و هم يُلصقون هذه المفتریات بأهل البيت ليتخذوا منهم «عكّازة» يعتمدون عليها لنشر مذهبهم، وإلاّ فمن يقول «أنا الأوّل، أنا الآخر،

١- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عرض و نقد، دارالرضا للنشر و التوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٢٣)
أنا الظاهر، أنا الباطن» هل يختلف عن فرعون الذي قال «أناربيكم
الأعلى»؟!».

الملاحظة:

أنظر كيف يشبه هذا القفاري قول أمير المؤمنين عليه السلام بقول
فرعون؟!:

لنسأل هذا القفاري: لو أن أحد الطلاب نال المرتبة الأولى في
الصف الدراسي بعد ما نجح في الامتحان ثم قال: «أنا الأوّل» تُرى
هل يحكم هذا القفاري بكفر هذا الطالب، وبأنه كفرعون و بلا فرق،
لأنّه وصف نفسه بصفة الله و سمّى نفسه بأحد أسمائه الحسنی؟!
فإن قال القفاري: إنّ بين القولين بونا شاسعاً و فرقاً كبيراً، لأنّ
هذا الطالب قد اقترن قوله بقرينة يعلم السامع منها أنّ مراده هو أنّه
الأوّل في الصف الدراسي ليس إلّا.

قلنا: هذا صحيح، ذلك لأنّ الكلام المجمل أو الظاهر في معنى ما
ظهوراً أولياً إذا كان مقترناً بقرينة تفسره فلا بدّ من حمله عليها،
وبذلك يرتفع الإجمال أو الظهور الأولي.

والمقام في ردّنا على ناصر القفاري في هذه النقطة من هذا
القبيل، لأنّ النصّ الكامل للرواية التي نقلها العلامة المجلسي عليه السلام قد
تضمّن أيضاً القرينة الدالة على أنّ مراد أمير المؤمنين عليه السلام في قوله
«أنا الأوّل، أنا الآخر...» ليس المراد الذي تعمّد الذهاب إليه ناصر
القفاري بتقطيعه متن الرواية و تركه القرينة عامداً ابتغاء الفتنة!

(٢٤) التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت

لنقرأ نصّ الرواية كاملاً:

«سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت و أنا الصديق الأكبر، و الفاروق الأعظم، و أنا وصي خير البشر، و أنا الأول، و أنا الآخر، و أنا الباطن، و أنا الظاهر، و أنا بكل شيء عليم، و أنا عين الله، و أنا جنب الله، و أنا أمين الله على المرسلين، بنا عبد الله، و نحن خزّان الله في أرضه و سمائه، و أنا أحيي، و أنا أميت، و أنا حيّ لأموت.

فتعجب الأعرابي من قوله

فقال عليه السلام: أنا الأول: أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله، و أنا الظاهر:

ظاهر الإسلام، و أنا الباطن: بطين من العلم، و أنا بكل شيء عليم: فإني عليم بكل شيء أخبر الله به نبيّه فأخبرني به، فأما عين الله: فأنا عينه على المؤمنين و الكفرة، و أما جنب الله: فأن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، و من فرط في فقد فرط في الله، ولم يجز لنبي نبوة حتى يأخذ خاتماً من محمد صلى الله عليه وآله، فلذلك سمي خاتم النبيين، محمد سيد النبيين و أنا سيد الوصيين، و أما خزّان الله في أرضه: فقد علمنا ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقول صادق، و أنا أحيي: أحيي سنة رسول الله، و أنا أميت: أميت البدعة، و أنا حيّ لأموت: لقوله تعالى: «و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون.»^(١)»^(٢)

١- سورة آل عمران: الآية ١٦٩

٢- البحار: ٣٩: ٣٤٧ حديث رقم ٢٠

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٢٥)

و المتابع يجد أنّ سائر الروايات التي نقلها العلامة المجلسي رحمته الله ^(١) محفوفة بالقرائن الكاشفة عن معانيها الحقيقية التي تعامى عن رؤيتها ناصر القفاري عامداً!

وإذا كانت الروايات الصريحة المحكمة قرائن كاشفة عن المعاني الحقيقية في الروايات المتشابهة، فهل يصحّ لعاقل أن يترك القرائن الحاكمة والكاشفة عن المعاني الحقيقية المسلّم بها و يأخذ بالمتشابه من المعاني؟!

إذا كان هذا لا يصحّ لعاقل عادي أن يفعله، فما بالك بمن يدّعي العلم في مستوى شهادة الدكتوراه؟!

النموذج الثاني:

مل التضرع إلى الله تعالى عند قبور الأنمة عليهم السلام شرك؟!

قال مؤلف الكتاب ناصر القفاري في الجزء الثاني ص ٥١٧: «و في أكثر زياراتهم (أي الشيعة) يؤكدون في أثنائها و خاتمتها على الإنكباب على القبر و دعائه، فهذه زيارة للحسين أوصى بها جعفر الصادق - كما يزعمون -.. و قل: يا مولاي يا أبا عبدالله، يا بن رسول الله، عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك، الذليل بين يديك، المقصّر في علوّ قدرك، المعترف بحقك، جاءك، مستجيراً بذمتك، قاصداً إلى حرمك، متوجّهاً إلى مقامك - إلى أن قال - ثم انكب على القبر و قل:

(٢٦) التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت

يا مولاي أتيتك خائفاً فأمني، وأتيتك مستجيراً فأجرني... ثم انكب على القبر ثانية... إلى آخر الزيارة التي يدعو فيها مخلوقاً من دون الله سبحانه، و يتضرّع إليه كأنه يتضرّع أمام الله! فماذا يكون الشرك إذا لم يكن هذا شركاً؟!»

الملاحظة:

لما راجعنا بحار الأنوار للمجلسي رحمته الله علمنا آسفين أن ناصر القفاري في تعرّضه لهذه الزيارة المباركة كان قد تعمّد ترك و حذف هذه الجملة من متن الزيارة، وهي «متوسلاً إلى الله تبارك و تعالى بك»^(١) بعد قوله «متوجّهاً إلى مقامك»!

وهذا دليل صريح على أن الزائر بهذه الزيارة يعتقد بأن الأئمة عليهم السلام عباد الله سبحانه، ولكنهم عباد مقربون مكرمون لهم شأن خاص ومنزلة رفيعة ومقام محمود عند الله تبارك و تعالى، وهم الوسيلة إلى الله جلّ شأنه.

إذن فالزائر في الحقيقة يدعو الله وحده بهذه الزيارة، ويرجو الزلفى لديه بواسطة أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام و باتخاذهم وسيلة إلى الله تعالى - وهم أرفع وأجلّ وأشرف الوسائل إلى الله - يكون هذا الزائر قد امتثل أمر الله تبارك و تعالى في قوله: «يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون»^(٢)

١- راجع: البحار: ١٠١: ٢٥٩.

٢- سورة المائدة: الآية ٣٥.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٢٧)

فأين هذا من الشرك؟! وأنتى هذا من دعاء المخلوق من دون الله سبحانه؟! هل هذا إلاّ افتراء متعمّد و تهمة؟!
لاشكّ أنّ ناصر القفاري قد قرأ جميع فقرات هذه الزيارة، و قد تمّت الحجّة عليه بعد أن تعامى عن تلك الجملة و نظائرها في متن الزيارة، كقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا تَوَجَّهْتَ إِلَى الْحَائِرِ فَقُلْ: أَلْتَهَمَ إِلَيْكَ قَصْدْتُ، وَ لِبَابِكَ قَرَعْتُ، وَ بِفَنَائِكَ نَزَلْتُ، وَ بِكَ اعْتَصَمْتُ، وَ لِرَحْمَتِكَ تَعَرَّضْتُ وَ بِوَلِيِّكَ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَوَسَّلْتُ».

ثرى: هذا تضرّع إلى الله وحده أم تضرّع إلى مخلوق من دون الله؟! ثمّ أليس الإمام الحسين عليه السلام ولياً من أعظم أولياء الله تبارك و تعالى، و هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و في أخيه الإمام الحسن عليه السلام: «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(١) و قال فيهما عليه السلام: «هما ريحانتي من الدنيا»^(٢)، و قال عليه السلام فيهما أيضاً: «بناي هذان إمامان قاما أو قعدا...»^(٣).

١- راجع: سنن الترمذى: ٢: ٣٠٦ و مسند أحمد: ٣: ٦٢ و ٨٢ و حيلة الأولياء لأبى نعيم: ٥: ٧١ و تاريخ بغداد: ٩: ٢٣١ و ٢٣٢ وكذلك: ١٠: ٩٠ و مصادر أخرى كثيرة من منابع و مساند أهل السنة

٢- راجع: صحيح البخاري في كتاب الأدب في باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته، عن ابن عمر، و رواه بطريق آخر أيضاً في كتاب بدء الخلق في باب مناقب الحسن و الحسين عليه السلام، و رواه أيضاً في الأدب المفرد. كما رواه الترمذى في سننه: ٣: ٣٠٦، و أحمد في مسنده: ٢: ٨٠ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣ بطرق عديدة. و روته أيضاً مصادر كثيرة أخرى لأهل السنة (راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣: ٢٢٦ - ٢٢٩)

٣- راجع: البحار: ٤٣: ٢٧٨ و نزهة المجالس: ٢: ١٨٤ و الإتحاف في حبّ الأشراف: ١٢٩.

(٢٨) التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت

فهل التوسل إلى الله تعالى بولي من أعظم أوليائه شرك بالله سبحانه؟! لتوَجَّل تفصيل القول في مبحث التوسُّل و الشفاعة إلى مكانه المناسب من نقدنا التفصيلي لمباحث كتاب ناصر القفاري الذي اتَّبَعَ - على غير بصيرة - ابن تيمية في آرائه الشاذة التي ردّها و رفضها سائر علماء أهل السنّة - و ما تبعه عليها إلاّ السلفيّة دون سائر مذاهب أهل السنّة!

و لنا هنا أن نساءل القفاري: لماذا هذا التقطيع و التحريف المتعمّد؟!

هل لهذا التقطيع و التحريف محمل صحيح حتى تبرأ ساحتك و ذمّتك، و تبرأ ذمّة الجامعة التي منحتك على هذا الكتاب شهادة دكتوراه؟!

النموذج الثالث:

راي الشيعة في مسألة رؤية الله سبحانه

لا يخفى أنّ غرضنا هنا ليس التعرّض إلى مبحث رؤية الله سبحانه بالتفصيل، و نقل الأقوال في هذه القضية و نقدها و بيان الصحيح منها، بل مقصودنا هنا هو الإشارة الى تحريف و تقطيع ناصر القفاري لروايات الشيعة لينسب إليهم ما لا يقولونه افتراءً عليهم و ابتغاء للفتنة.

لقد تعرّض ناصر القفاري في كتابه إلى مسألة إمكان رؤية الله سبحانه، فأثبت هذه الرؤية، و قال: الرؤية حقّ لأهل الجنّة بغير

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٢٩)

إحاطة ولا كيفية، ومستدلاً بالآية الكريمة «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»^(١)

و ذكر أن الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على ذلك متواترة. وقال بعد ذلك: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة وأئمة الإسلام والمعروفون بالإمامة في الدين وسائر طوائف أهل الكلام المنسويين إلى السنة والجماعة، وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف.^(٢)

ثم ذكر ما يدل بزعمه على مدّعاء بصدد قول الشيعة من مصادرهم! وفي آخر كلامه زعم أن نفي الرؤية الذي هو مذهب الشيعة خروج عن مذهب أهل البيت ﷺ لأن بعض رواياتهم اعترفت بذلك (أي بثبوت الرؤية)، ثم نقل رواية عن ابن بابويه بهذه الكيفية قائلاً: فقد روى ابن بابويه القمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم.

نقلها عن كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ١١٧ وعن بحار الانوار: ٤: ٤٤، واكتفى بهذا المقدار، وزعم أن هذا دليل على ثبوت الرؤية عند مذهب أهل البيت ﷺ، وأن الشيعة يخالفون مذهب أهل البيت ﷺ ويذهبون إلى عدم ثبوت الرؤية!

١- سورة القيامة: الآية ٢٢ و ٢٣.

٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢: ٦٦٨-٦٦٩.

الملاحظة

ولما راجعنا كتاب التوحيد و كتاب البحار وجدنا أنَّ للرواية
تتمّة، و قد حذفها هذا الدكتور عامداً ليوحي إلى قاريء كتابه بما
يشتهيهِ هو من الإستدلال و النتيجة!!

أمّا أصل الرواية و متنها الكامل فهو:

... عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت له: أخبرني عن
الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم، و قد رأوه قبل يوم القيامة

فقلت: متى؟

قال: حين قال لهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى^(١)

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم
القيامة ألسن تراه في وقتك هذا؟

قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنك إذا حدثت به فأنكر منكراً جاهلاً بمعنى ما تقوله،

ثم قدر أنّ ذلك تشبيه كُفّر، و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين،

تعالى الله عما يصفه المشبهون و الملحدون.»

فالشيعية يذهبون إذن تبعاً لأئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى نفي الرؤية

١- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف / الآية ١٧٢: «وإذا أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى شهدنا أن
تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٣١)

بالعين مطلقاً في الدنيا والآخرة، لأنّ ذلك يستلزم أن يكون المرئي جسماً ذا أبعاد تحيط بها العين في نظرها إليه! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

و تذهب الشيعة إلى ثبوت الرؤية بالقلب و العقل بلافق بين عالم الدنيا والآخرة و غيرهما من العوالم.

فإذا كان مقصود ناصر القفاري هو أنّ الشيعة تخالف الكتاب و النبي ﷺ و الصحابة و الإجماع في الرؤية بالقلب و العقل فهذا افتراء عليها بلا دليل و لا برهان، لأنّ الشيعة تثبت هذه الرؤية، وإذا كان مقصوده هو أنّ الشيعة تخالف الوهابية لأنها تنفي الرؤية بالعين فهذا صحيح، إلا أنّ هذا الدكتور قد كفر النبي ﷺ و الصحابة و علماء الإسلام و أئمة الدين جميعاً! لأنّه زعم أنّهم يثبتون الرؤية بالعين التي تستلزم التجسيم الباطل بضرورة العقل و الدين، و لا يمكن أن يلتزم بالقول بجواز الرؤية بالعين من له أدنى معرفة بحقائق العقيدة الإسلامية، فما بالك بعلماء الإسلام و أئمة الدين و النبي ﷺ!؟

النموذج الرابع:

للشيعة ثلاثة عشر إماماً يزعم القفاري!!

و لم يكف القفاري في تقطيع و تحريف روايات أهل البيت عليه السلام بالحذف منها، بل عمد إلى ما هو أسوأ من ذلك، حيث تجرّأ على الإضافة إليها - من عنده - ما ليس في أصل المتن كما هو مدوّن و مثبت في المصادر.

(٣٢) التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت

فقد قال في الجزء الثاني من كتابه ص ٨٠٩
« كما أنك ترى الكافي أصحّ كتبهم الأربعة قد احتوى على جملة
من أحاديثهم تقول بأن الأئمة ثلاثة عشر، فقد روى الكليني بسنده
عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: إني وإثنا عشر إماماً من
ولدي، وأنت يا عليّ، رزّ الأرض، يعني أوتادها و جبالها، بنا أوتد
الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت
الأرض بأهلها ولم ينظروا. »

الملاحظة:

للقاريء الكريم أن يراجع كتاب «الكافي» الشريف، الجزء
الأوّل، ص ٥٣٤ باب (ما جاء في الأثني عشر والنصّ عليهم)،
حديث رقم ١٧، ليعجب حين يرى أنّ نصّ الرواية ليس فيه كلمة
«إماماً»! بل فيه «إني وإثنا عشر من ولدي وأنت يا عليّ...».
و إذا علمنا أنّ كلمة «ولدي» تشمل الذكور والإناث، علمنا أنّ
مراده ﷺ أنّ فاطمة عليها السلام من هؤلاء الإثني عشر من ولده ﷺ، وهذا
لا يقدح في أنّ الأحد عشر إماماً من ولده ﷺ و ولد عليّ عليه السلام مع
عليّ عليه السلام هم الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام عند الشيعة الإمامية، هذا فضلاً
عن أنّ هذا الحديث ضعيف سنداً كما صرح به العلامة المجلسي في
كتابه (مرآة العقول ٦: ٢٣٢).

وفي الردّ التفصيليّ على مباحث كتاب الفقاريّ سنّعرض إلى
جميع روايات هذا الباب من حيث الدلالة والسند.

النموذج الخامس:

تفويض الأمور من قبل الله تعالى إلى الأئمة عليهم السلام:

وزعم القفاري قائلاً: «والشيعة تزعم في رواياتها أن الله سبحانه و تعالى «خلق محمداً و علياً و فاطمة فمكتوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون و يحرمون ما يشاءون.» وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص و المجلسي في البحار و غيرهما، عن أبي جعفر قال: «من أحلنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، و ما حرموا فهو حرام.»، هكذا يصريحون بأن للأئمة حق التشريع و التحليل و التحريم، فما أحلوه من بيت مال المسلمين فهو حلال، و ما حرموه فهو حرام... فجعل هؤلاء من أئمتهم أرباباً من دون الله...»^(١)

الملاحظة:

إن أوضح و أهم أهداف القفاري من وراء كتابه هو استفزاز حمية المخاطب السنّي ضدّ إخوانه المسلمين من الشيعة! و نجد القفاري هنا - على جاري عادته في كتابه - يقطع ما يشتهي

(٣٤) التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت

له من نصّ الرواية ليحرّف المعنى الحقيقي الذي يشعّه تمام النصّ، من أجل تحقيق هذا الهدف الإستفزازي!

فحينما راجعنا - المصدر الذي أشار إليه الفقاري - و هو كتاب الكافي الشريف،^(١) و بحار الانوار^(٢) نقلاً عن الكافي - وجدنا أنّ الفقاري حذف من هذا النصّ الشريف المروي عن الإمام الجواد عليه السلام أهم عبارة كاشفة عن معناه الحقيقي، و هي «و لن يشاؤا إلا أن يشاء الله تبارك و تعالى» و تأتي بعد عبارة «فهم يحلّون ما يشاءون و يحزّمون ما يشاءون».

و مع هذه العبارة يتمّ المعنى الحقيقي لهذا النصّ الشريف - الذي أراد الفقاري أن يحرفّ معناه كما «يهوى» بتقطيعه إياه عمداً - و المعنى الحقيقي لهذا النصّ المبارك هو أنّ قلوبهم: «أوعية لمشيئة الله»^(٣) فبعد أن أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، صارت مشيئتهم تجسداً لمشيئة الله تعالى، فما يشاؤون إلا ما شاء الله، و لا يشاؤون إلا أن يشاء الله.

و هم عليه السلام أوصياء رسول الله ﷺ، المحلّلون لحلاله، المحرّمون لحرامه، و حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى

١- الكافي: ١: ٤٤١ حديث رقم ٥

٢- بحار الانوار: ٢٥: ٣٤٠ - ٣٤٢ حديث رقم ٢٤.

٣- في رواية أنّ الحجّة عليه السلام قال مخاطباً كامل بن إبراهيم المدني - الذي جاء يسأل الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعض الأسئلة - «وجئت تسأله عن مقالة المفوضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول «و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله»» (راجع: الغيبة / للشيخ الطوسي: ٢٤٦ - ٢٤٧ حديث رقم ٢١٦ / مؤسسة المعارف الإسلامية).

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٣٥)

يوم القيامة، وهذا من لوازم «الخاتمة في النبوة»، إذ لاني بعدة ﷺ،
إذن فما يحللونه أو ما يحرمونه إنّما هو «بيان» لما أحله
رسول الله ﷺ أو ما حرّمه، والقرآن والسنة النبوية الصحيحة
يصدّقان الأئمة عليهم السلام في كلّ ما يحللونه أو يحرمونه، لأنّه نطقٌ عن الله
وعن رسوله ﷺ.

والتفويض إليهم ﷺ في الحلال والحرام - كأوصياء للرسول ﷺ
- هو عين التفويض لرسول الله ﷺ، الذي فوّض الله إليه في ذلك
التفويض التام في قوله تعالى: «و ما آتاكم الرسول فخذوه، و ما نهاكم
عنه فانتهوا»^(١) لأنّ مشيئته مشيئة الله وقوله قول الله «و ما ينطق
عن الهوى إنّ هو إلّا وحىً يوحى»^(٢)

و المتأملٌ بدقّة في آية التفويض إلى سليمان عليه السلام: «هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب»^(٣) يجد في قوله تعالى «عطاؤنا» -
وليس عطاءك - ما يشعر بالقيوميّة الإلهيّة والإشاعة الربانيّة المهيمنة
على هذا التفويض، فهذا التفويض المراد هنا ليس هو التفويض
المقصود به التعطيل الذي ذهبت إليه اليهود بقولهم «يدّ الله مغفولة،
غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء»^(٤)
و سنفضّل القول في التفويض الممكن و التفويض الممتنع في الردّ
التفصيلي على مباحث كتاب الفقاري إن شاء الله تعالى.

١- سورة الحشر: الآية ٧.

٢- سورة النجم: الآية ٣ و ٤.

٣- سورة ص: الآية ٣٩.

٤- سورة المائدة: الآية ٦٤.

النموذج السادس:

هل الناس جميعاً عبيد للأئمة؟

وقال القفاري: «و الشيعة حينما اعتقدت في أئمتها أنهم جهة تشريع أكملت ذلك بدعواها أن الناس جميعاً عبيد للأئمة لتتضح صورة الشرك أكثر! قال الرضا: «الناس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب.» مع أن الله سبحانه يقول: «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله»^(١) فالتاس جميعاً عبيد لله وحده لا لأحد سواه، ولو كان من عباد الله المرسلين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة، فكيف بأئمة الشيعة، أو من تدعى فيه الإمامة؟!»^(٢)

الملاحظة:

إن القفاري أراد أن يستفز القاري السني ضد الشيعة بهذه المقولة التي تعمد فيها أيضاً أن يحرف كلام الإمام الرضا عليه السلام باقتطاعه جزء منه وتركه الجزء الآخر الذي يتم به مراد الإمام عليه السلام. كما كشف القفاري بهذه المقولة الساذجة عن جهله بالمعنى القرآني للعبودية، وعن عدم إحاطته حتى بأوليّات المعاني الاعتقادية!

١- سورة آل عمران: الآية ٧٩

٢- كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: ٢٨٩

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٣٧)

لقد راجعنا - المصدر الذي أخذ عنه القاري هذا النصّ كما أشار إليه في حاشية كتابه - وهو كتاب الأمالي ^(١) للشيخ المفيد رحمته الله، وبحار الأنوار ^(٢) نقلاً عن الأمالي، فوجدنا أنّ النصّ الكامل لقول الإمام الرضا عليه السلام وهو يخاطب جماعة من بني هاشم في خراسان، منهم إسحق بن العباس بن موسى، ^(٣) هو: «يا إسحاق، بلغني أنكم تقولون: أنا نقول: إنّ الناس عبيد لنا! لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قطّ، ولا سمعته من أحد من آبائي، ولا بلغني عن أحد منهم قاله، لكنّا نقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب».

فالإمام عليه السلام في هذا النصّ الكريم يفرّق بين نوعين من العبودية، فينفي عنه وعن آبائه عليهم السلام القول بأنّ الناس عبيد لهم (عبودية الخلقة)، ويقرّر القول بأنّ الناس عبيد لهم (عبودية الطاعة)، وهي غير تلك الأولى.

وقوله عليه السلام بأنّ النّاس عبيد لهم في الطاعة، يعني: وجبت عليهم طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام كما تجب على العبد طاعة السيّد، فهم عبيد لهم بهذا الاعتبار، وإطلاق العبد على التابع شائع كما يقول: فلان عبد

١- كتاب الأمالي / للشيخ المفيد: ٢٥٣ المجلس ٣٠ حديث رقم ٣

٢- بحار الأنوار: ٢٥: باب نفي الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام: ص ٢٧٩ عن أمالي المفيد و أمالي الطوسي

٣- الظاهر كونه: إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي كما في الكافي (في باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام) فصخّف، وهو إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

(٣٨) التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت

لهواه، أو عبد للشيطان.

و لقد قرّر القرآن الحكيم أنّ الطاعة و الإنقياد عبودية، فإن كانت طاعة لمن أمر الله بطاعته فهي طاعة لله، ألم تسمع لقوله تعالى عن لسان موسى: «قال ربّ اني لأملك إلا نفسي و أخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين»،^(١) فإنّ موسى عليه السلام لا يملك هارون عليه السلام، و لا يكون هارون عليه السلام - و هو حرّ - مملوكاً لموسى عليه السلام إلاّ باعتبار الطاعة التامة و الإنقياد الكامل له، و هذا من أوضح مصاديق عبودية الطاعة.

و إن كانت طاعة لمن لم يأمر الله بطاعته و نهى عن الانقياد له فهي شرك بالله، ألم تسمع لقوله تعالى: «وإن أظعنموهم إنكم لمشركون»^(٢)

و الشيعة - يا أيها القفاريّ - إنّما تطيع أئمة أهل البيت عليه السلام و تنقاد لأمرهم و تمتثل قولهم طاعة لله تبارك و تعالى و لرسوله ﷺ، لما عندهم من الأدلّة القطعية على ذلك من القرآن و السنّة النبويّة الصحيحة، فهي إذن طاعة لله و لرسوله أصلاً. فافهم يا قفاريّ، و خذ التوحيد من عين صافية!

النموذج السابع:

العلامة الأميني و القول بتحريف القرآن!

زعم القفاري أنّ العلامة الأميني عليه السلام - مؤلف كتاب الغدير -

١- سورة المائدة: الآية ٢٥

٢- سورة الأنعام: الآية ١٢١

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٣٩)

وإن كان قد أنكر القول بتحريف القرآن في كتابه الغدير، ج ٣، ص ٩٣ إلا أنه قد اعترف بوقوع التحريف في القرآن، في كتابه الغدير، ج ٩، ص ٣٨٨، لأنه قال يصف بيعة السقيفة: «... بيعة عمّت شؤمها الإسلام، و زرعت في قلوب أهلها الآثام... و حرّفت القرآن و بدّلت الأحكام»^(١)

و زعم القفاري أن الأميني عليه السلام قد «أورد آية مفتراة في نفس الكتاب»!!^(٢)

ونص هذه الآية المزعومة: «اليوم أكملت لكم دينكم بإمامته، فمن لم يأت به و بمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبّطت أعمالهم و في النار هم خالدون، إن إيليس أخرج آدم عليه السلام من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم و تزلّ أقدامكم...»^(٣)

الملاحظة:

بعد مراجعة كتاب الغدير، ج ١، ص ٢١٤ - ٢١٦ حسب إشارة القفاري - وجدنا أن ما زعم هذا القفاري أنه آية مفتراة كان جزءاً من متن رواية^(٤) نقلها الأميني عليه السلام عن كتاب (الولاية في طرق حديث الغدير) للمؤرخ و المفسر المعروف الحافظ محمد بن جرير الطبري

١- كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٢٠٠: ١٢٠١

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- رواها الطبري بإسناده عن زيد بن أرقم، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

(٤٠) التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت

المتوفى سنة ٣١٠ هـ، و كان هذا الجزء من الرواية مفسراً لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم...»^(١)

فعلما أن ما زعمه هذا القفاري كان محض كذب و افتراء!!^(٢)

١- سورة المائدة: الآية ٣.

٢- و لم يكتف القفاري بفريته على الأميني عليه السلام بل قال في الحاشية: «و مع ذلك يزعم هذا الرافضي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنها نزلت في علي، و حاول أن يموه و يخدع القراء فنسب هذا الافتراء لمحمد بن جرير الطبري السنّي، و هو محمد بن جرير الطبري الرافضي إن صحت النسبة إليه، فالرجل افترى على الله و كتابه و رسوله و أئمة المسلمين». و بهذا يناقض القفاري نفسه في زعم كون ذلك آية مفتراة أوردها الأميني عليه السلام! كما يكشف عن سقم فهمه و قلة عقله و عدم ورعه العلمي حيث تسرع بلا تثبّت و تدقيق فرفض أن تكون هذه الرواية ممّا رواه الطبري السنّي، ثم رجم بالغيب من مكان بعيد فنسبها إلى الطبري الشيعي بلا دليل!

***: الإفتراء، على الشيعة الإمامية و اتهامهم بما ليس فيهم!**

و من الأساليب التي اعتمدها ناصر القفاري تعمّداً في كتابه «أصول مذهب الشيعة» للتشنيع على الشيعة الإمامية، أسلوب الإفتراء عليهم و اتهامهم بما ليس فيهم!، إذ لم يكتف بتقطيع روايات أهل البيت عليهم السلام و تحريف معانيها الحقيقية حتّى تجرّأ على ارتكاب ما لا يرتكبه العوام من المسلمين ممّن يخاف الله و اليوم الآخر، حيث اتهمهم بالشرك و البدعة في الدين، و نسب إليهم ما لا يرتضيه عوام الشيعة فضلاً عن علمائهم! و إليك القليل من كثير من هذه الإفتراءات والتهم:

١- الإستشفاء، بقراب قبر الحسين عليه السلام من دون ربّ الأرباب!

قال ناصر القفاري في الجزء الثاني و في الصفحة ٥٩٤:

«تقول الشيعة - مخالفة بذلك النقل و العقل، و الطبّ و الحكمة - بأنّ تربة الحسين هي الكفيلة لشفاء الأدواء و الأسقام بشتّى أنواعها و أشكالها، و كأنّهم بهذا اعتقدوا فيما لا ينفع بالحسّ و المشاهدة، و بالطبع و العقل، إعتقدوا فيه النفع، و زعموا أنّ الشفاء يتحقق من

(٤٢) الإفتراء على الشيعة الإمامية

تراب قبر لا من ربّ الأرباب!

ثمّ ينقل الفقاري دعاء عند الاستشفاء بالتراب في ص ٥٩٥ قائلاً:
«ثمّ يقوم و يتعلّق بالضريح و يقول: يا مولاي، يا بن رسول الله، إني
أخذ من تربتك بإذنك، أللّهمّ فاجعلها شفاء من كلّ داء، و عزّاً من كلّ
ذل، و أمناً من كلّ خوف، و غنى من كلّ فقر».

و نعلّق على هذا فنقول:

إنّ الشيعة لو كانت تعتقد بأنّ التراب وحده يشفي المريض على
نحو الإستقلالية في الأثر التكويني بلا إرادة و إذن من الله تبارك
و تعالى لكان هذا شركاً صريحاً، تماماً كالاعتقاد بأنّ الدواء الذي
يصفه الطبيب للمريض يشفي ذلك المريض على نحو الإستقلالية
بلا إرادة و إذن من الله تبارك و تعالى!

و لكن أنى هذا من اعتقاد الشيعة الحق؟! إنه افتراء عليهم و تهمة
تعمّد إلصاقها بهم الجهلة الحاقدون عليهم و على مذهب
أهل البيت (عليه السلام)!

فمتى كانت الشيعة تعتقد بأنّ التراب يشفي المريض على نحو
الإستقلالية؟! هذه كتب علمائهم، بل فاسأل عامة الشيعة، هل ترى
فيهم أحداً يعتقد بأنّ الشفاء ليس من الله سبحانه بل من التراب؟!
ولو كان الأمر كما يزعم الفقاري لتساوى عند الشيعة تراب
الأرض كلّها، و تراب القبور كلّها، فلا فرق - حينئذٍ - بين أيّ قبر و بين
قبر سيّد شباب أهل الجنّة، ريحانة رسول الله ﷺ، سيّد الشهداء الإمام

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٤٣)

الحسين بن عليّ عليه السلام الذي بذل مهجته في الله عزّ وجلّ ليستنقذ عباده من الجهالة و حيرة الضلالة، و ليفضح المتقمصّ الخلافة بلا استحقاق، الطاغية الظالم الفاجر، الغاصب لمنصب رسول الله ﷺ، يزيد بن معاوية الذي كان معلناً بالفجور و الفسوق و الملاهي و شرب الخمر.

إنّ اعتقاد الشيعة بأنّ الشفاء في تربة الحسين عليه السلام لم ينشأ إلاّ من الدليل المعتبر عندهم الدالّ على أنّ الله تبارك و تعالى القادر على كلّ شيء، الذي جعل الشفاء في الأدوية و الأعشاب، هو الذي جعل الشفاء في تربة الحسين عليه السلام إكراماً لسيّد الشهداء و ريحانة رسول الله، و تعويضاً له - في جملة ما عوّضه به - عن استشهاده و مظلوميته و ما لاقى من الرزايا العظمى و المصائب المفجعة في سبيل الله يوم الطفّ، و الله على كلّ شيء قدير، يختصّ برحمته من يشاء و هو ذو الفضل العظيم.

أفلم يجعل الله تبارك و تعالى شفاء يعقوب عليه السلام في قميص ابنه يوسف عليه السلام حين ألقيه البشير على وجهه فارتدّ بصيراً؟

فهل يتوهم أحد أنّ القميص شافى يعقوب عليه السلام من دون الله؟ كلاّ و حاشا! و العجب أنّ ناصر القفاري نفسه نقل الدعاء مع جملته التي فيها تصريح بأنّ الشفاء بإذن الله لا من دون الله: «بإذنك اللهم فاجعلها شفاء من كلّ داء»، فكيف عمي أو تعامى عن أنّ الداعي بهذا الدعاء معتقّد بأنّ الله تبارك و تعالى هو المؤثر بالأصل لا غيره، و هو الذي جعل الشفاء في هذه التربة الحسينية المقدّسة كما جعل بإذنه

سائر الآثار في الأشياء؟!؟

و هذا لا يوجب الشرك - كما زعم القفاري! - قطعاً، وإلاّ لأصبح العالم كلّ مظاهر للشرك بالله سبحانه! لأن الله تبارك و تعالى جعل الأمور بأسبابها، و من الأسباب اللوازم الطبيعية لكلّ موجود، و من الأسباب أفعال الملائكة في تدبير سنن هذا الكون، و الملائكة عمال الله تبارك و تعالى، مأمورون من قبله، فهل يتوهم أحدٌ من أهل الإيمان أنّ الملائكة قادرة على ذلك من دون الله، أو أنها لا تحتاج إلى إذنه في كل أمر من أمور التدبير؟!؟

كيف لا يكون الإستشفاء بواسطة الطيب و الدواء شركاً عند أمثال القفاري، و يكون الإستشفاء بتراب قبر الامام الحسين عليه السلام بإذن الله شركاً؟!؟

٢- هل تتخذ الشيعة قبور انفتحتهم قبلة؟!؟

و قال القفاريّ أيضاً في الجزء الثاني من كتابه في ص ٥٧٤: «قال شيخ الشيعة المجلسي: إنّ استقبال القبر أمرٌ لازم، وإن لم يكن موافقاً للقبلة... و استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة، و هو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة». و قال القفاريّ أيضاً في الجزء الثالث ص ١٢٩٣ - ١٢٩٤:

«و قد ذكر صاحب التحفة الإثنا عشرية بأنهم لا يزالون يغفون في قبور الأئمة و يطوفون حولها، بل و يصلّون إليها مستدبرين القبلة! إلى غير ذلك من الأمور التي يستقلّ لديها فعل المشركين مع

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٤٥) أصنامهم.

ثمّ قال: إنّ حصل لك ريب من ذلك فاذهب إلى بعض مشاهدهم لترى الحقيقة بعينك!*

و نقول:

إنّ هذا افتراء بحث و كذب محض! فهذه بلاد الشيعة و مشاهدهم المشرّفة و مساجدهم العامرة، هل رأى أحدٌ من الناس عامة و من المسلمين خاصة أحداً من المسلمين الشيعة يصلّي إلى غير القبلة (جهة الكعبة المشرّفة في المسجد الحرام)؟! أو سُمع أنّ أحداً من مجتهديهم و مراجعهم في التقليد و علمائهم يُفتي بذلك أو يرخص لهم به؟! لهم به!؟

بل جميعهم بلا استثناء يرون الصلاة إلى غير جهة القبلة صلاة

*- و يحسنّ هنا أن ننقل نماذج من أقوال علماء أهل الستة في هذه المسألة:
(أ) فتوى مالك: حينما سأله المنصور: «أستقبل القبلة و أدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال: و لمّ تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله تعالى...».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٦ / للسمهودي / دار إحياء التراث العربي / و المواهب اللدنية: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دار الكتب العلمية).

(ب) و قال السمهودي «و عن أصحاب الشافعي يقف و ظهره إلى القبلة و وجهه إلى الحظيرة، و هو قول ابن حنبل».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٨).

(ج) و قال الخفاجي: «استقبال وجهه ﷺ و استدبار القبلة مذهب الشافعي و الجمهور، و نقل عن أبي حنيفة».(راجع: شرح الشفا: ٣: ٥١٧ / للملا علي القاري).

(د) ابن الهمام محقق الحنفية: «ما نقل عن أبي حنيفة أنه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: من الستة أن تأتي قبر رسول الله من قبل القبلة و تجعل ظهره إلى القبلة و تستقبل القبر... و هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة... و قول الكرمانى: إنّ مذهبه بخلافه، ليس بشيء، لأنّه حتّى في ضريحه، يعلم بزايره، و من يأتيه في حياته إنّما يتوجّه إليه».(المصدر السابق).

(٤٦)..... الإفتراء على الشيعة الإمامية

باطلة (مع إمكان الإستقبال، في الفرائض يومية كانت أو غيرها، وفي النافلة إذا أتى بها المصلّي على الأرض حال الاستقرار، وأمّا النافلة حال المشي والركوب وفي السفينة فلا يعتبر الإستقبال واجباً فيها).^(١)

نعم، إنّ الشيعة - بل عامة المسلمين - تعنى عناية شرعية فائقة وتهتمّ اهتماماً كبيراً بزيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام كعنايتها واهتمامها بزيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وذلك لأنهم عليهم السلام أولياء الله الأعظم، وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، قد اصطفاهم الله بالإمامة، وقد وردت في شأنهم آيات قرآنية عديدة كاشفة عن مقامهم المحمود ومنزلتهم الرفيعة عند الله تعالى، مثل آية المودة: «قل لأنا لكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»^(٢)، وآية المباهلة: «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»^(٣).

وكذا الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في علو شأنهم وسمو مقامهم وتفضيلهم عند الله تعالى، مثل حديث الثقلين الذي تسالمت الأمة جمعاء على تواتره وقطعية صدوره. و من نافلة القول التذكير بأنّ هذا التكريم والتعظيم ليس بسبب

١- تحرير الوسيلة: ١: ١٤١ مسألة رقم ١ (المقدمة الثانية في القبلة).

٢- سورة الشورى: الآية ٢٣.

٣- سورة آل عمران: الآية ٦١.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٤٧)

اعتقاد بالوحيّتهم، والعبودية لهم أرباباً من دون الله - والعياذ بالله - بل لتكريم الله وتعظيمه إيّاهم!

ولهذا السبب نرى أيضاً أنّ كثيراً من أهل السنّة - ممّن يحبّون أهل البيت (عليهم السلام) ويرون لهم حق وحرمة القربى من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - يزورون قبورهم في الأزمان الغابرة وفي أيّامنا الحاضرة. كابن حبان وابن خزيمة وأبي عليّ الخلال وغيرهم كثير.

نعم، الشيعة تزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقبور الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، ومن الطبيعي أنّ الزائر يتوجّه حين الزيارة إلى القبر،^(١) سواء كان الزائر أثناء الزيارة متوجّهاً نحو القبلة أو لم يكن، وبعد الزيارة يصلّي الزائر ركعتين لله تبارك تعالي، ويهدي ثوابها إلى صاحب القبر الشريف، وتسمّى بصلاة الزيارة، ولا شك أنّ الزائر يصلّي هاتين الركعتين وهو مستقبل القبلة - لا القبر - كما يستقبلها في الفرائض والنوافل.

فهل استقبال القبر حين الزيارة شرك؟!

وهل يمكن أن يتفوّه بهذا مسلمٌ عارف بأحكام الصلاة!، فما بالك بمن يدّعي العلم ويرى نفسه من أهل الفضيلة العلمية؟!

إنّ جميع فقهاء الشيعة يرون أنّه يجب استقبال القبلة مع الإمكان في الفرائض يوميّة كانت أو غيرها، وكذلك يجب استقبال القبلة في النافلة إذا أتى بها المصلّي على الأرض حال الاستقرار، وليراجع - من يشك بهذا - جميع الرسائل العملية لفقهاء الشيعة الإمامية.

١- كما هو فتوى مالك في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) (راجع المواهب اللدنيّة: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دار الكتب العلمية).

(٤٨)..... الإفتراء على الشيعة الإمامية

و من المعلوم بالقرينة أنّ كلام المجلسي ﷺ ناظر إلى استقبال القبر حين الزيارة لأثناء الصلاة، ويشهد بذلك ذكره التحوّل إلى اليسار لزيارة قبر عليّ بن الحسين ﷺ، ذلك لأنّه لا يمكن أن يتوهّم أحد أنّ التحوّل إلى اليسار يكون أثناء الصلاة! وكلام المجلسي ﷺ في نفسه واضح جليّ، ولا يذهب إلى حمل كلامه ﷺ على لزوم استقبال القبر أثناء الصلاة إلّا من يريد تعمّد الإفتراء عليه!

فما أجراً ناصر القفاريّ على الله ورسوله وعلى عباده الصالحين؟!؟

٣- هل الشيعة هم الذين أحدثوا الشرك في أمة محمد ﷺ؟

وقال هذا القفاري في الجزء الثالث من كتابه في ص ١٤٣٤:

«لقد كان لعقيدتهم في الإمامة والإمام الأثر الواضح في إحداث الشرك والشركيات في العالم الإسلامي، بل قرّر طائفة من أهل العلم أنّ الشيعة هم أوّل من أحدث الشرك وعبادة القبور في الأمة المحمّدية، فقد تحوّل غلوّ الشيعة في أئمتها إلى غلوّ في قبورها، ووضعوا روايات لمساندة مسيرتهم الوثنيّة».

ثمّ أيّد ما اتّهم به الشيعة بقول ابن تيمية^(١) فقال:

١- ابن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن الخضر بن تيمية ولد سنة ٦٦١ هـ في مدينة حرّان في الشام، وتوفي سنة ٧٢٨ هـ بسجن القلعة في دمشق، دخل السجن ثلاث مرّات بسبب عقائده الناشزة عن عقائد المسلمين وفتاواه الغريبة، عاش ٦٧ سنة و لم يتزوج (خلافاً للسنة النبويّة!)



→ ولم يذكر هو ولا أحد غيره السر في عزوفه عن الزواج!.. أصبح فيما بعد الإمام الذي تنتسب إليه الفرقة الوهابية، وهي التي جذدت عقائده وأفكاره الدائرة و روجت لها!

من أفكاره في زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء والصالحين: «ليس عن النبي في زيارة قبره ولا قبر الخليل حديثاً ثابتاً أصلاً» وقال أيضاً: «والأحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة، لم يرو الأئمة ولا أصحاب السنن المتبعة منها شيئاً» (راجع: كتاب الزيارات: ١٢-١٣ ونفس المصدر: ٢٢-٣٨)

و يرى ابن تيمية أن جميع ماورد في الصفات من الآيات والأحاديث يجب أن تُفهم على ظاهرها وما يؤدّيه اللفظ من معنى بلا تأويل! و على هذا قال: «إن الله تعالى في جهة واحدة هي جهة فوق، وهو في السماء مستو على العرش وقد امتلأ به العرش، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يعود، وإن له أعضاء وجوارح من عين و أيدي وأرجل» (راجع: منهاج السنة / ابن تيمية: ١: ٢٥٠ و ٢٦٠ و ٢٦١)

وكان مبغضاً لأهل البيت ﷺ عامة ولعلي ﷺ خاصة، وكان يناصبهم العدا، ويميل ميلاً تاماً لأعدائهم، وقد صنف كتاباً باسمه (فضائل معاوية، وفي يزيد وأنه لايسب) هذا مع أن السلف من هذه الأمة كانوا لايعرفون فضيلة واحدة لمعاوية، وقد نقل الذهبي أنه قيل للنسائي -بعد أن صنف في فضائل الصحابة - ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟! حديث «اللهم لا تشعب بطنه»؟ فسكت السائل. (راجع سير أعلام النبلاء / للذهبي: ١٤: ١٢٩ / مؤسسة الرسالة).

و من بغض ابن تيمية لأئمة المؤمنين علي ﷺ أنه كان يقول: «علي إنما قاتل الناس على طاعته لا على طاعة الله!.. فمن قدح في معاوية بأنه كان باغياً قال له النواصب: و علي أيضاً كان باغياً ظالماً.. قاتل الناس على إمارته وصال عليهم... فمن قتل النفوس على طاعته كان مريداً للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون!!» (راجع: منهاج السنة: ٢: ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٣٢)

و يكشف عن تحجره وقلة عقله فيقول بصدد قيام الإمام الحسين ﷺ ضد يزيد: «هذا رأي فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، و قل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير!!» (راجع: منهاج السنة: ٢: ٢٤١)، ثم يهذي فيقول معتذراً ليزيد: «و يزيد ليس بأعظم جرمًا من بني إسرائيل، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء، و قتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء!» (منهاج السنة: ٢: ٢٤٧)

و لقد انقسم علماء أهل السنة في رأيهم بابتن تيمية إلى أقسام، فمنهم من نسبته إلى التجسيم لقوله: إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية (لله)، وإنه مستو



«قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأول من وضع هذه الأحاديث في

على العرش بذاته! ومنهم من نسبته إلى الزندقة لقوله: إن النبي ﷺ لا يستغاث به! ومنهم من نسبته إلى النفاق لقوله في علي: إنه كان مخذولاً حيثما توجه وإنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها! وإنه قاتل للرئاسة للديانة و لقوله: أنه كان يحب الرئاسة، وإن عثمان يحب المال. و لقوله: علي أسلم صبيّاً والصبي لا يصح إسلامه! فألزموه بالنفاق لقول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «و لا يبغضك إلا منافق».

ثم لخص القول في ابن تيمية ابن حجر العسقلاني قائلاً:
«ابن تيمية عبدٌ خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذله...» وقال أيضاً: «الحاصل أن لا يقيم لكلامه وزن، وأن يرمى في كلِّ وعرو حزن...» ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ مضلّ غال، عامله الله بعدله، وأجارنا الله من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين.» (راجع: الفتاوى الحديثية: ٨٦).

و من معاصريه الذين كتبوا إليه ينصحونه و يلومونه و يقرّعونه المحدث و المؤرخ و الرجالي المعروف شمس الدين الذهبي، و كان من جملة ما كتب إليه في نصيحته:

«... يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة و الإنحلال، لاستيما إذا كان قليل العلم و الدين.. فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل؟! أو عامي كذاب بليد الذهن؟! أو غريب و اجم قوي المكر؟! أو ناشف صالح عديم الفهم... يا مسلماً أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها و تعادي الأخيار؟! إلى كم تصادقها و تزدرى الأبرار؟! إلى كم تعظمها و تصغر العباد؟! إلى كم تخاللها و تمقت الزهاد؟! إلى متى تمدح كلامك بكيفية لاتمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين؟! يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كل وقت تغير عليها بالتضعيف و الاهدار، أو بالتأويل و الإنكار...» (راجع: الوهابية دعاوى و ردود / للشيخ نجم الدين الطبسي: ٥ و ٦ / نقلاً عن تكملة السيف الصقيل للكوثري: ١٩٠ - كتبه من خطأ قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، و كتبه هو من خطأ الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، و قد كتبه من خطأ الذهبي، و ذكر شطراً منه العزامي في الفرقان: ١٢٩ / و انظر الغدير: ٥: ٨٩.

و قال الشيخ الطبسي: هذا و قد حاول البعض إنكار هذه الرسالة و نفي صدورها عن الذهبي، و لكنها محاولة يائسة بلا طائل.)

و لعل هذه الرسالة هي الرسالة المسماة «النصيحة الذهبية لابن تيمية» التي أرسلها الذهبي إليه يلومه فيها و ينتقد بعض آرائه و آراء أصحابه بها، و نشرت في دمشق سنة ١٣٤٧ هـ (راجع: سير أعلام النبلاء: ١: ٣٨ في المتن و الحاشية / مؤسسة الرسالة).

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٥١)

السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم، الذي يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها وابتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً، فإنّ الكتاب والسنة إنّما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد.»
ونقول: لنا عدة ملاحظات على هذا الكلام...

الملاحظة الأولى:

لا تكون زيارة المشاهد المشرفة و قبور الأئمة شركاً و بدعة إلاّ إذا كان الزائر يدعو فيها غير الله، دعاء العبادة، أمّا إذا كان الزائر لا يدعو فيها إلاّ الله وحده، ولا يُنزل صاحب القبر إلاّ المنزلة التي أنزله الله ورسوله ﷺ، ولا يتوسل بأصحاب هذه القبور المقدسة إلاّ لأنهم أفضل الوسائل إلى الله تبارك و تعالي، وقد أمره الله في كتابه الناطق بالحقّ أن يبتغي إليه الوسيلة^(١)، و ما يعظمهم إلاّ لأنهم أولياء الله و أصفياؤه و أوداؤه و أوصياء نبيه ﷺ، فإنّ هذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم التوحيد في الاعتقاد والعمل!
وقد جرت السيرة المطرّدة منذ صدر الإسلام في عصر الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان على زيارة قبور تضمّنت في كنفها نبياً مرسلأ أو إماماً طاهراً أو ولياً صالحاً أو شهيداً عظيماً، و في مقدّم تلك القبور قبر النبي الأقدس محمد ﷺ.

١- سورة المائدة: الآية ٣٥: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة...»

الملاحظة الثانية:

لقد افترى ابن تيمية الكذب على الشيعة - و تبعه على ذلك القفاري - بأنهم أوّل من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد! مع أنّ أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ و السفر لزيارة المشاهد و السفر لزيارة قبره الشريف كثيرة، منها على سبيل المثال: ما أخرجه الدارقطني بإسناده في السنن عن عبدالله بن عمر مرفوعاً:

« من زارني إلى المدينة كنت له شهيداً و شفيعاً. »^(١)

الملاحظة الثالثة:

إنّ عدم ذكر المشاهد المشرفة في القرآن الكريم لا يدلّ على أنّ زيارتها بدعة، و إلّا لوجب القول بكون زيارة قبر النبي ﷺ بدعة أيضاً، وكذا زيارة المسجد النبوي الشريف، و الصلاة فيه، و كلّ عمل لم يُذكر في القرآن بدعة أيضاً!! و هذا ممّا لا نظنّ ابن تيمية و القفاري و أمثالهم يلتزمون به!

هذا مع أنّ زيارة قبر النبي ﷺ و قبور الأولياء و العلماء و عباد الله

١- راجع: وفاء الوفاء / المجلّد ٣ / ج ٤ / ص ١٣٤٢ / ح ٦ / دار الكتب العلمية (بيروت / ط ١٤٠٤ هـ ق)، و في سنن الدارقطني / المجلّد ١ / ج ٢ / ص ٢٧٨ / دار المحاسن - القاهرة / عن عبد الله بن عمر، عن النبي ح ١٩٤: «من زار قبري و جبت له شفاعتي»، و فيه ايضاً: ص ٢٢٨ / ح ١٩٢ عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٥٣)

الصالحين بل قبور المؤمنين كافة أمر مستحبّ عند طوائف المسلمين:

هذا الشافعي يقول في فقهه: ج ١ ص ١٢٤: «و يستحبّ للرجال زيارة القبور»

و قال الشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم المصري الحنفي في البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام النسفي / ج ٢ ص ١٩٥: «قال في البدائع: لا بأس بزيارة القبور و الدعاء للأموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطأ القبور لقوله ﷺ: «أنتي كنت نهيتمكم عن زيارة القبور؟ ألا فزوروها.» و لعمل الأمة من رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، و قد صرح في المجتني بأنها مندوبة»

أما ابن حجر المكي الهيتمي فلما سُئل عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن هل تجوّزها و هل تجوز الرحلة إليها؟ أجاب بقوله «زيارة قبور الأولياء قرينة مستحبة، و كذا الرحلة إليها، و قول الشيخ أبي محمّد لا تُستحبّ الرحلة إلا لزيارته ﷺ، ردّه الغزالي بأنّه قاس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق.»^(١)

هذا على سبيل المثال، و لغير هؤلاء من أعلام علماء أهل السنّة تصريحات كثيرة في هذا الصدد لا يسعنا في هذا المختصر أن نذكرها.

١- راجع: الفتاوى الكبرى الفقهية: ٢: ٢٤ / و للذهبي في الرد على ابن تيمية بيان مهم جداً، فراجع في (سير أعلام النبلاء: ٤: ٤٨٤ / مؤسسة الرسالة).

الملاحظة الرابعة:

لقد ادّعى ابن تيمية أنّ الروافض ونحوهم يعطلون المساجد! ويعظمون المشاهد التي يُشرك فيها ويكذب فيها وابتدع فيها دين لم يُنزّل الله به سلطاناً!!

وما أسهل إثبات فساد هذه الدعوى! إذ إنّ الشيعة منتشرون في العالم، وهذه بلدانهم ومدنهم، وتلك مساجدهم فهل هي معطّلة؟! بإمكان كلّ من يريد معرفة الحقيقة أن يرحل إلى بلاد الشيعة مثل لبنان وسوريا والعراق وإيران وبعض مدن الحجاز وباكستان وأفغانستان وغيرها ليشاهد بعينه مساجدهم وحضورهم أوقات الصلاة لإقامة الفرائض جماعة، واجتماعاتهم فيها أيام وليالي المناسبات الدينية، واعتكافهم فيها للعبادة في الأيام البيض من شهر رجب وشعبان ورمضان المبارك، وعقدهم الاحتفالات الدينية لمولد النبي ﷺ، ومواليد العترة الطاهرة عليهم السلام الذين أذهب الله الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً، وإقامة المآتم لوفياتهم عليهم السلام، وغير ذلك. فهل هذا الإعتناء الفائق الشامل، وحضور العدد الهائل منهم في المساجد يسمى تعطيلاً لها!؟

ما أنصف ابن تيمية في دعواه هذه. ولا أنصف الناقل لها في نقلها! نعم، إنّ الشيعة تُعظم المشاهد المشرفة لأنها تضمّنت في كنفها قبور العترة الطاهرة التي شهد الكتاب بطهارتها وفضلها في مثل آية

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٥٥)

التطهير^(١) و آية المباهلة^(٢) و آية التبليغ^(٣) و غيرها من الآيات القرآنية التي أحصاها بعض المحدثين و المؤلفين فناف عددها على المائة، و كذا شهدت السنة الصحيحة لهذه العترة الطاهرة بفضلها و منزلتها الخاصة في حديث الثقلين المتفق عليه بين الفريقين^(٤)، و حديث الكساء^(٥)، و حديث المنزلة^(٦) و كثير غيرها من الأحاديث الصحيحة المروية في الصحاح الستة^(٧) و غيرها.

مع هذا، أيكون تعظيم من عظمه الله و رسوله شركاً و بدعة؟! أم أن البدعة و خرق الإجماع و مخالفة الكتاب و السنة في إنكار فضل من فضله الله و رسوله و الصحابة و التابعون لهم بإحسان؟!

الملاحظة الخامسة:

و من افتراءات القفاري أيضاً - إتباعاً لمنهج ابن تيمية - أن الشيعة يُغالون في أئمتهم عليهم السلام! و لا يخفى على ذي البصيرة أن الغلو:

١- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢- سورة آل عمران: الآية ٦١.

٣- سورة المائدة: الآية ٦٧.

٤- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٥: ١٨١ و صحيح مسلم: ٤: ١١٠ و فيض القدير: ٣: ١٤ و الصواعق المحرقة: ١٣٦.

٥- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٤: ١٠٧ و ٦: ٢٩٢ و ١: ٣٣٠ و التاج الجامع للأصول: ٣: ٢٧٤ و نور الأبصار: ١١.

٦- راجع: صحيح مسلم: ٤: ١٠٨ بطريقين، و صحيح البخاري ٥: ٣ و ٢٤، و مسند أبي داود: ١: ٢٩، و صحيح الترمذي ٢: ٣٠.

٧- راجع: كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة (الفيروز آبادي)

(٥٦) الإفتراء على الشيعة الإمامية

تجاوز الحد^(١)، والغالي: المتجاوز عن الحدّ بالإفراط، في مقابل «الغالي»، وهو المتجاوز عن الحدّ بالتفريط^(٢).

و الغلوّ في المخلوق أن تنسب إلى إنسان من العلم و القدرة و الحياة و المقام على نحو الاستقلالية (من دون الله) ما يرفعه إلى منزلة الألوهية - و العياذ بالله - و لاشكّ أنّ هذا هو الشرك الذي هو الظلم العظيم!

و لكنك إذا نسبت إلى إنسان من العلم ما لا يقوى على حمله البشر و ما لا يتأتى من طريق الكسب و التحصيل، على نحو التعليم الخاص و الموهبة من الله تبارك و تعالى، لا على نحو الاستقلالية، فهذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم الإيمان التوحيدي لأنّ الله يختصّ برحمته من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم! و هو على كلّ شيء قدير!

و القول في القدرة و الحياة مثلاً أيضاً كالقول في العلم لافرق. و في الكتاب العزيز عن لسان عيسى عليه السلام: «... أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، و أبريء الأنكمه و الأبرص، و أحي الموتى بإذن الله، و أنبتكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين»^(٣).

١- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني: ٣٦٤.

٢- راجع: تفسير الميزان: ٦: ٧٦.

٣- سورة آل عمران: الآية ٤٩.

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٥٧)

و فيه أيضاً عن لسان يوسف عليه السلام: «قال لا يأتیکما طعامٌ تُرزقانه إلا نبئتكما بتأويله قبل أن يأتیکما، ذلكما مما علّمني ربّي...»^(١)

و فيه أيضاً عن لسان سليمان عليه السلام: «و ورث سليمان داود و قال يا أيها الناس علّمتنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء، إنّ هذا لهو الفضل المبين»^(٢)

و فيه حول آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام: «قال الذي عنده علّم من الكتاب أنا آتیک به قبل أن يرتدّ إليك طرفك، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربّي...»^(٣)

و فيه حول الخضر عليه السلام: «... فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا و علّمناه من لدنا علماً، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علّمت رشداً»^(٤)

و فيه حول ابراهيم عليه السلام: «و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض و ليكون من الموقنين»^(٥)

و فيه حول موهبة علم الغيب لمن ارتضى الله من رسول: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول...»^(٦)

و فيه حول حياة من يقتل في سبيل الله: «و لاتقولوا لمن يقتل

١- سورة يوسف: الآية ٣٧.

٢- سورة النمل: الآية ١٦.

٣- سورة النمل: الآية ٤٠.

٤- سورة الكهف، الآية ٦٥ - ٦٦.

٥- سورة الأنعام: الآية ٧٠.

٦- سورة الجن: الآية ٢٦ و ٢٧.

(٥٨) الإقتراء على الشيعة الإمامية

في سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون»^(١) و «و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون...»^(٢)

هذه بعض الأمثلة القرآنية على ما فضل الله تبارك و تعالى به أنبياءه ﷺ و أوليائه ﷺ و الشهداء رضوان الله عليهم.

و لا يشك مسلم مؤمنٌ بأنّ خاتم الأنبياء و المرسلين محمداً ﷺ أفضل خلق الله قاطبة (دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى!)^(٣)، إذن فجميع كمالات الأنبياء و الأولياء ﷺ و الشهداء رضوان الله عليهم متوفرة فيه لأنّه الأكمل ﷺ، بل فيه من درجات الأكملية ما ليس في أحد من كَمَل خلق الله من الملائكة و الإنس و الجن قاطبة! و لا يشك مؤمنٌ بأنّ علياً ﷺ هو نفس رسول الله ﷺ بصريح دلالة القرآن الكريم في آية المباهلة «... فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»^(٤) فما لرسول الله ﷺ من الكمال الأعلى فهو

١- سورة البقرة: الآية ٢٨.

٢- سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

٣- سورة النجم: الآية ٩٨.

٤- سورة آل عمران: الآية ٦١ / و في صحيح مسلم: ج ٥ / ص ٢٣ / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل علي بن أبي طالب / ح ٣٢ / مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر: «حدثنا قتيبة بن سعيد و محمد بن عباد... قالوا: حدثنا حاتم (و هو ابن اسماعيل)، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلن أسبّه! لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم! سمعت رسول الله يقول له و خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء و الصبيان! فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من



الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٥٩)

لعلي عليه السلام أيضاً إلا النبوة التي خُتِمت بمحمد ﷺ فلا نبي بعده.
وفي آية التطهير: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً»^(١) دليل تام على أنّ كمالات النبي ﷺ - وهو
أحد المخاطبين بهذه الآية - هي نفس كمالات أهل البيت عليه السلام
المخاطبين مع النبي ﷺ أيضاً بهذه الآية، ذلك لأنّ المرید سبحانه
واحد، والإرادة واحدة، والتطهير واحد! فتأمل!

إذن فالشيعة تقول بكل فخر واعتزاز: إنّ عند أهل البيت عليه السلام -
وهم سواء - من الكمالات النفسية والروحية ومن العلم والقدرة
ودوام الحياة بعد الموت نفس ما عند رسول الله ﷺ، وفي المأثور
من السنّة الصحيحة ما يؤكّد هذا البرهان القرآني ويصدّقه، بل في
هذا المأثور من السنّة الصحيحة تفصيلات وافية لهذه الحقيقة
القرآنية.

وفي كلّ ما تنسبه الشيعة إلى أئمّة أهل البيت عليه السلام من الكمال
والعلم والقدرة ودوام الحياة، تنسبه إليهم على نحو الموهبة من الله
تبارك وتعالى، لا على نحو الاستقلالية - فيكون شركاً - والعياذ بالله!
فأين هذا من الغلوّ الذي هو تجاوز الحدّ بالإفراط؟!

→ موسى إلاّ إنه لانبؤة بعدي! وسمعتة يقول: لأعطين الراية رجلاً يحب الله
ورسوله و يحبه الله و رسوله! قال فتطاولنا لها، فقال: أدعوا عليّاً فأتي به أرمـد
فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه!
ولمّا نزلت هذه الآية... فقلّ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... دعا رسول الله عليّاً وفاطمة
وحسناً وحسيناً، فقال: «أللهمّ هؤلاء أهلي»، وانظر سنن الترمذي: ج ٥ / ٥٦٥ /
دارالفكر، وانظر مسند أحمد: ج ١ / ص ١٨٥ / دارصادر
١- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٦٠) الإفتراء على الشيعة الإمامية

و لو كان هذا غلوّاً لوجب أن يكون القرآن - و العياذ بالله - قد
غالى أيضاً فيما نسب من علم و قدرة و معاجز خارقة لأنبياء الله
و أوليائه ﷺ!

و... لقد أسمعت لونا ديتَ حيّاً ولكن لاحياة لمن تنادي!

٤- هل للتقية عند الشيعة اصل في كتاب الله و سنة رسوله ﷺ؟

و ممّا ذكره ناصر القفاري في كتابه هذا أن للشيعة ظاهراً و باطناً!
ولقد أراد بذلك أن يشنّع على الشيعة لقولهم بالتقية و عملهم بها
في أوقات و ظروف خاصة!

إنّ المشنّعين على الشيعة لقولهم بالتقية لم يقفوا على معناها
و مغزاها، و لو تأملوا في الأمر و تبيّنوه، و رجعوا إلى كتاب الله و سنة
رسوله ﷺ، و سألوا أهل الذكر لو قفوا على أنها ممّا تحكم به ضرورة
العقل و نصّ الكتاب و السنة!

و هنا أمران مختلفان متباينان ربّما خلط الجاهل أحدهما
بالآخر، و هما: النفاق و التقية! و قد ضرب أعداء الشيعة هذين
الأمرين المتباينين بسهم واحد، و حكموا عليهما جهلاً أو تعمّداً
بحكم واحد، و قالوا: إنّ التقية فرع من النفاق تجلّى في الشيعة باسم
التقية!

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

لقد ندّد القرآن بالنفاق و المنافقين فقال: «الاعراب أشدّ كفراً

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٦١)

ونفاقاً»^(١) و «إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار»^(٢)، لكنّه حرّض على التقيّة في ظروف خاصّة فقال: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم ثقاةً و يحذركم الله نفسه و إلى الله المصير»^(٣)

فقلوله: «إلا أن تتقوا» استثناء من أهم الأحوال، أي أن ترك موالاته الكافرين حتم على المؤمنين في كلّ حال، إلا في حال الخوف من شيء يتقونه منهم، فللمؤمنين حينئذ أن يُصانعوهم بقدر ما يُتقَى به ذلك الشيء، لأنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح.

فلو كانت التقيّة من فروع النفاق فلماذا دعا إليها الكتاب الحكيم؟ وقال تبارك و تعالى: «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان، و لكن من شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله و له عذاب عظيم»^(٤).

فتراه سبحانه يجوز إظهار الكفر كرهاً، و مجارة الكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، فلو كانت مداراة الكافرين في بعض الظروف الخاصّة نفاقاً فلماذا رخص بذلك الإسلام و أباحه، و قد اتفق المفسّرون على أن الآية نزلت في جماعة أكرهوا على الكفر، و هم عمّار و أبوه ياسر و أمّه سمية

١- سورة التوبة / الآية ٩٧.

٢- سورة النساء/ الآية ١٤٥.

٣- سورة آل عمران / الآية ٢٨.

٤- سورة النمل / الآية ١٠٦.

(٦٢)..... الإفتاء على الشيعة الإمامية

رضوان الله عليهم، و قتل أبوعمار و أمه، و أعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه، فقال قوم كفر عمار! فقال ﷺ: «كلاً! إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه»، و جاء عمار إلى رسول الله ﷺ و هو يبكي! فقال ﷺ: «ما وراءك؟»، فقال: شرّ يارسول الله ﷺ! ما تركت حتى نلت منك! و ذكرت آهتكم بخيراً، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه و يقول: «إن عادوا لك فعذ لهم بما قلت!» فنزلت الآية. (١)

و هذا مؤمن آل فرعون، يكتم إيمانه تقيّة من قومه، و يتظاهر بآئه على دينهم، ليخدم دينه و نبيّه تحت غطاء التقيّة، فيرشد قومه إلى رصانة دينه ببيان بليغ صادر عن رجل محايد! «و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم، و إن يك كاذباً فعليه كذبه، و إن يك صادقاً يُصّبكم بعض الذي يعدكم، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب.» (٢)

و ربّما خفي على أعداء الشيعة أنّ التقيّة عندهم تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنها تجب لحفظ النفوس و الأعراس و الأموال، ربّما تحرم إذا ترتبت عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين، و خفاء الحقيقة عن الأجيال الآتية، أو تسلّط الأعداء على شؤون المسلمين و حرمااتهم و مقدّساتهم، و لأجل ذلك نرى كثيراً من عظماء الشيعة و أكابرهم رفضوا التقيّة في ظروف معيّنة و قاموا ضد

١- راجع: مجمع البيان: ٣: ٣٨٨.

٢- سورة غافر / الآية ٢٨.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٦٣)

الطغاة حتى قتلوا بسيف الظلم، أو شنقوا بحبال الجور، أو صلبوا على أخشاب الطغيان.

منهم: سيّدهم الإمام أبو عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام وأنصاره المستشهدون بين يديه في كربلاء أو في سبيله في الكوفة والبصرة، ومنهم: حجرين عديّ الكندي، و ميثم التمار، ورشيد الهجري، ومئات غيرهم، كان الزمان ولم يزل يعرف بأمثالهم إلى أيامنا هذه...

وقد يتساءل بعضهم فيقول: إنّ الآية التي فيها «لَا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ» ثقةً، والآية التي فيها «لَا مَنْ أَمَرَهُ وَ قَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِإِيمَانٍ» راجعتان إلى تقيّة المسلم من الكافر، ولكن الشيعة يتّقون اخوانهم المسلمين، فكيف يُستدل بهما على صحة عملهم؟

والجواب هو: إنّ الآيتين وإن كانتا لتشملان تقيّة المسلم من أخيه المسلم بالدلالة اللفظية، ولكنهما تشملان غير مورد هما بنفس الملاك الذي سوّغ تقيّة المسلم من الكافر، فإنّ وجه تشريع التقيّة هو صيانة النفس، والعرض والمال من الهلاك والدمار، فإنّ كان هذا الملاك موجوداً في غير مورد الآية فيجوز أخذاً بوحدة المناط.

وقد كان عمل الشيعة على التقيّة منذ تغلّب معاوية على الأئمة، وابتزازه الإمرة عليها بغير رضا منها، وصار يتلاعب بالشريعة الإسلامية حسب أهوائه، وجعل يتّبع شيعة عليّ عليه السلام و يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويبطش على الظنّة والتهمة، وسار الحكّام الأمويون من بعده على نهجه، ثمّ العبّاسيّون، وقد زادوا في الطين بلّة، ولذا

(٦٤)..... الإفتراء على الشيعة الإمامية

اضطر الشيعة إلى كتمان أمرهم تارة، و التظاهر به تارة أخرى، حسب ما تقتضيه طبيعة الظروف و نوع تعامل الحكام الطغاة معهم.

إنَّ الأمر الإرهابي التعسفي الجائر الذي أصدره معاوية إلى جميع عمّاله في الآفاق: «انظروا إلى من أقيمت عليه البيّنة أنه يُحبُّ عليّاً و أهل بيته فامحوه من الديوان، و أسقطوا عطاءه و رزقه» و «من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهدموا داره!»^(١)، كان و لم يزل الحكام الطغاة من بعد معاوية يعملون به إلى يومنا هذا!

و لازال الشيعة يعانون الأمرين و تنزل بساحتهم الدواهي في أقطار عديدة من عالمنا العربي و الإسلامي، بسبب جور الحكّام الطواغيت الممثّلين لإرادة الإستكبار الغربي عامة و لإرادة أمريكا خاصة في عالمنا الإسلامي، و بسبب انتشار التيارات و الأفكار المتحرّجة المتلبّسة بالعنوان الإسلامي و التي كانت مناشئها بمباركة و رعاية الدهاء الإستكباري الغربي نفسه، و التي لاهمَّ لها إلا اضطهاد الشيعة!

و لنا عود على مبحث التقيّة بالتفصيل في الردّ المفصّل على مباحث كتاب ناصر القفاري إن شاء الله تعالى.

٥- مل يسبّ الشيعة و يلعنون جميع الصحابة؟!

قال القفاري: «و قد كشف لنا الشيخ موسى جارالله^(٢) حينما زار

١- راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ١٥ عن المدائني.

٢- موسى جارالله: رجل من أهل تركستان، يعتبر عن نفسه في كتاباته تارة بموسى

→ جارا لله، و أخرى بموسى جارا لله ابن فاطمة! ولا يعرف وجه اختيار انتسابه إلى أمه؟! ولعل هذا الاسم الذي تسمى به اسم مستعار اتخذته لنفسه بعد أن ارتحل إلى بلاد قلب العالم الإسلامي لأنه من الأسماء المألوفة في هذه البلاد! صرح في كتابه (الوشية) أنه من متصوفة الإسلام! وقال صاحب كتاب (نقض الوشية) في وصفه: «و يظهر من ملامحه حينما زارنا بمنزلنا في الكوفة أواخر عام ١٣٥٢ هـ ق أنه تجاوز الستين من عمره، يلبس اللباس الإفرنجي، وعلى رأسه قلنسوة من المخمل الأسود... يحسن العربية الفصحى والفارسية والتركية... وقد حضر المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥١ هـ ق، ثم جاء إلى العراق عام ١٣٥٢، ثم ذهب إلى إيران عام ١٣٥٣، ثم عاد إلى العراق في تلك السنة، ووجه الأسئلة المشار إليها إلى علماء النجف والكاظمية، ثم سافر إلى مصر وآلف فيها وشيعته وطبعها عام ١٣٥٥، وهو باق في مصر إلى الآن عام ١٣٥٩، ولسنا نعلم تفصيل أحواله...» (نقض الوشية / السيد محسن العاملي: ٨ / مؤسسة الأعلمي - بيروت / ط ٤ / ١٤٠٣ هـ ق - ١٩٨٣ م) وورد في غلاف كتابه «الوشية في نقد عقائد الشيعة / نشر مطبعة الكيلاني» أنه ولد في عام ١٢٩٥ هـ ق و توفي عام ١٣٦٩ هـ ق.

و يبدو أن هذا الرجل كان ذا نشاط سياسي أو تجسسي أسخط عليه بعض الحكومات وأرضى عنه أخرى فقد قال يصف رحلته من تركستان إلى قلب العالم الإسلامي: «هاجرت بيتي و وطني في نهاية سنة ١٩٣٠ م هجرة إضطرابية! وكانت قد سدت علي كل طرق النجاة حتى أثرت مضطراً أو عر الطرق وأصعبها وأطولها، فسأقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلى الأقطار الإسلامية: إلى التركستان الشرقي الصيني، فالباير، فأفغانستان.

وبقيت أربعة أشهر و زيادة على متون الخيول حتى وصلت إلى كابل... وأصعب عذاب لا أكاد أنساه هو أنني بأيدي حرس كانت ترقبني ولا تتركني على اختياري في البحث وفي الإقامة حيث أريدا... أقمت بكابل في الانتظار أربعين يوماً ضيقاً عند حكومتها الكريمة... ثم فتح الله جل جلاله على وجهي أبواب السفر بإشارة من جلالة الملك العظيم أعلى حضرت «نادرشاه»... قد كنت تبحث من قبل في الهند، و جزيرة العرب، و مصر، و كل بلاد تركيا، و كل التركستان الغربي!...» (راجع: الوشية: ٢٢ و ٢٣)

و من الإشارات التي كانت تؤكد أن لهذا الرجل التركستاني المريب قصداً مستبقاً و غاية تجسسية قوله: «و جلست في بلاد الشيعة طويلاً و عرضاً سبعة أشهر و زيادة، و كنت أمكث في كل عواصمها أياماً أو أسابيع، و أزور معابدها (!) و مشاهدها



ديار الشيعة في إيران و العراق، و حضر مجالسها و محافلها

→ و مدارسها، و احضر محافلها و حفلاتها في العزاء و المآتم، و كنت أحضر حلقات الدروس في البيوت و المساجد و صحنونها، و المدارس و حجراتها، و كنت أستمع و لا أتكلم بكلمة!!!» (الوشيعه: ٢٤)

إنَّ شأنَ الباحث عن الحقيقة، المحقق في طلبها، هو أن يُظهر ما عنده من اعتقاد، و يحاور الآخرين حتَّى يميز الحق من الباطل، و الخبيث من الطيب، أمَّا شأن المتجسّس فإتقانه الكتمان و المراقبة و الرصد و استظهار عدم المعرفة!

يقول السيّد محسن الأمين العاملي عليه السلام: «زارنا بمنزلنا في الكوفة من أرض العراق أواخر عام ١٣٥٢ هـ حينما تشرفنا بزيارة المشاهد الشريفة، و ذلك بعدما جاء من المؤتمر الإسلامي بالقدس، دخل علينا فسلم، فرددنا عليه السلام و رحبنا به، و قلنا له: هل أنت مسلم؟ فقال: أوما يكفي لبیان إسلامي السلام؟ فقلنا له: قد يسلم غير المسلمين. و كانت هيأته في لباسه الإفرنجي و لباس رأسه و طول شعره - كما قدّمنا - يظنّ منها أنّه موسوي (أي يهودي) غير مسلم!» (نقض الوشيعة: ١٠)

«... ثم زارنا في منزلنا بطهران، فسألناه عن منزله لنردّ له الزيارة، فقال: أنا نازل عند امرأة أرمنية!!!» (نقض الوشيعة: ١٠)

و يبدو أنّ لموسى جارا لله التركستاني موهبة تخيلية ناشئة ممّا يتوهمه في نفسه من عظمة فارغة عن كلّ محتوى، إذ يقول في مقدّمة كتابه بعد دعاء «ربّ اشرح لي صدري، و يسّر لي أمري...»: «كأنّي سمعت الله قال: «قد أوتيت سؤالك يا موسى» (الوشيعه: ٢٠)، ترى ماذا كان يقول القفاري أو ابن تيمية أو هذا التركستاني لو أنّ أحداً من الشيعة قال ذلك؟! إنَّ أقلّ ما يمكن أن تصرّخ به هستيريا هؤلاء هو أنّ هذا الشيعي لا يؤمن بختم النبوة لمحمد عليه السلام! و أنّه قد ادّعى أنّه يوحى إليه!! و من ثمّ فقد أشرك و ألحد و كفر!!

و لهذا الرجل التركستاني قدرة واضحة على التلاعب بالألفاظ، و على المغالطة، و على خلط الحق بالباطل، في طول كتابه و عرضه، فمن أقواله - على سبيل المثال - «أنا لا أكفر يزيد، لأنّ عمله أشنع و أفحش من كلّ كفر! و لألعنّه! لأنّ إسلام الشيعة للحسين بعد أن دعوه، و إطاعة الجيش و قائديه أمر يزيد ابتغاء لمرضاته أشنع و أفحش من أمر يزيد أضعافاً مضاعفة!» (الوشيعه: ٢٩)، و خذ مثلاً آخر على هذيانه: «أنا لأنكر عصمة الأئمة! فإنّ كانت الأئمة معصومة فإني بفضل الله علينا و رحمته لنا في عصمة أئمتنا فرح أكثر من فرح الشيعة!!! إلاّ إنّ عصمة الأئمة لا تغني الأئمة في شيء! و لا تغنيها عن شيء!» (الوشيعه: ٤٠)

و كتابه الوشيعة يطفح بالنصب و العداة لأهل البيت عليهم السلام عامة و لعلي عليه السلام خاصة، و إنّ حاول جاهداً أن يعتّم على ذلك ما أمكنه التحايل و التلاعب بالألفاظ!

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٦٧)

و حلقات درسها في البيوت و المساجد و المدارس فاطّلع على ما يدور في واقع الشيعة من تكفير لمن رضي الله عنهم! و رضوا عنه! حتى قال: «كان أوّل شي سمعته و أنكرته هو لعن الصديق و الفاروق، و أمّهات المؤمنين: السيّدة عائشة و السيّدة حفصة، و لعن العصر الأوّل كافة، و كنت أسمع هذا في كلّ خطبة و في كلّ حفلة و مجلس في البداية و النهاية، و أقرأه في ديباج الكتب و الرسائل، و في وأدعية الزيارات كلّها، حتّى في الأسقية ما كان يسقي ساقٍ إلّا و يلعن، و ما كان يشرب شارب إلّا و يلعن. و أوّل كلّ حركة و كلّ عمل الصلاة على محمّد و آل محمّد، و اللعن على الصديق و الفاروق و عثمان، الذين غصبوا حقّ علي - بزعمهم - و ظلموه، حتّى أصبح السبّ و اللعن عندهم أعرف معروف يلتذّ به الخطيب، و يفرح عنده السامع.»

و هذا الواقع المظلم الذي تجري ألسنة أهله باللعن و التكفير و السبّ ليس بغريب على من يرتضع منذ طفولته كره أصحاب رسول الله ﷺ...»^(١)

في هذا النصّ الذي انتقناه من كتاب القفاري مجموعة من الافتراءات و الإدّعاءات الواهية، التي جرى القفاري فيها على عادته في إثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعي! و جميع هذه الافتراءات تستحقّ الردّ عليها بالأدلة العلمية و الواقعية التي

(٦٨) الإفتراء على الشيعة الإمامية

تكشف عن زيفها و عدم صحتها، إلا أن الردّ عليها جميعاً يُخرج هذا المدخل المختصر عن إطاره، ولذا فسنؤجّله إلى المواقع المناسبة في ثنايا الردّ التفصيلي على مباحث الفقاري، وسنردّ هنا على الفرية المهمة منها، وهي أن الشيعة تكره أصحاب رسول الله ﷺ و تسبّهم و تلعن العصر الأوّل كافة! على حدّ قول موسى جارا الله!

إنّ الشيعة يعتقدون أن: مصاحبة الرسول ﷺ و ملازمته فخر كبير و شرف لا يناله إلاّ ذو حظّ عظيم، و كثير من صحابة الرسول ﷺ من المهاجرين و الأنصار رضوان الله تعالى عليهم بذلوا غاية المجهود و أغلّى ما يملكون في نصرة رسول الله ﷺ و إعلاء كلمة الدين الحنيف، و لم يألوا جهداً و طاقة في هذا السبيل حتّى أثنى عليهم المولى تبارك و تعالى الثناء العاطر في مواضع كثيرة من كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، كما في قوله تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه و أعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم.»^(١) و في قوله تعالى: «اللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً و ينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون، و الذين تبوؤا الدار و الإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا و يؤثرون على أنفسهم

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٦٩)

ولو كان بهم خصاصة، و من يُوق شَح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(١) و في قوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بذلوا تبديلاً»^(٢)

و في قوله تعالى: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أتابهم فتحاً قريباً»^(٣)

و يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في دعائه «في الصلاة على أتباع الرسل و مصدّقيهم»: «اللهمّ و أصحاب محمد خاصّة الذين أحسنوا الصحابة، و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، و كانفوه و أسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته، و استجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، و فارقوا الأزواج و الأولاد في إظهار كلمته، و قاتلوا الآباء و الأبناء في تثبيت نبوته، و انتصروا به، و من كانوا منظوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في موّدته، و الذين هجرتهم العشائر اذ تعلّقوا بعروته، و انتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظلّ قرابته. فلا تنسّ لهم اللهمّ ما تركوا لك و فيك، و أرضهم من رضوانك، و بما حاشوا الخلق عليك، و كانوا مع رسولك دعاة إليك، و اشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، و خروجهم من سعة

١- سورة الحشر: الآية ٨ و ٩

٢- سورة الأحزاب: الآية ٢٣

٣- سورة الفتح: الآية ١٨

(٧٠) الإفتراء على الشيعة الإمامية

المعاش إلى ضيقه، و من كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم...»^(١)

هذا هو نظر الشيعة واعتقادهم في أصحاب رسول الله ﷺ الذين امتثلوا أمره في الصغيرة والكبيرة، و أطاعوه حق طاعته، و ما بدّلوا بعده - و ما أحدثوا و ما غيروا.^(٢)

١- أنظر: الصحيفة السجادية الجامعة: ٤٣ - ٤٥.

٢- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردّ علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيخلّون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي؟ فيقول: إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري»

(البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٣ / منشورات دار ابن كثير - بيروت) و عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردن علي أقوام أعرفهم و يعرفونني، ثم يحال بيني و بينهم. و زاد أبو سعيد الخدري: فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي.» (البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٢ / دار ابن كثير / تحقيق دكتور مصطفى ديب)، و أخرجه مسلم برقم ٢٢٩٠ - ٢٢٩١ في الفضائل.

و عن العلاء بن المسيّب، عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ و بايعته تحت الشجرة! فقال: يا ابن أخي! إنك لاتدري ما أحدثنا بعده! (البخاري ٤: ١٥٢٩ رقم الحديث ٣٩٣٧).

و هنا ملاحظة مهمة: و هي أنّ الذين يتشبهون بدعوى عدالة جميع الصحابة يتذرّعون بحديث مزعوم عن النبي ﷺ، و هو: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، و هذا الحديث المزعوم فضلاً عن منشأه الأموي مخالف مخالفة صريحة لكتاب الله و السنة الصحيحة و الحقيقة التاريخية، و فضلاً عن كلّ هذا، إليك مقالته محققون من علماء الرجال من أهل السنة:

قال الذهبي إنه حديث باطل و جعله من الموضوعات (راجع: ميزان الاعتدال: ١: ٤١٣).

و رمز له السيوطي به (ضعيف)، (راجع: الجامع الصغير / و شرحه للمناوي: ٤: ٧٦ رقم الحديث ٤٦٠٣، و قال المناوي في الشرح (فيض القدير): قال ابن الجوزي في العلل: لا يصلح، و قال الذهبي باطل. و قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي أنه ضعيف وإياه، و ذكر ابن حزم أنه موضوع باطل (راجع: مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح / علي القاري: ٥: ٥٢٣ / مؤسسة التاريخ - بيروت). و قال ابن منده: إسناده ساقط و الحديث موضوع



الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٧١)

و لا يخفى على أحد أنّ الشيعة لا يرون و لا يعتقدون بعدالة جميع الصحابة!

و هذا ما قرّره القرآن الحكيم، و السنّة النبوية الشريفة، و إليك بعض الأمثلة القرآنية:

١- حدّثنا القرآن الكريم أنّ منافقين هناك في مجموع صحابة رسول الله ﷺ حيث يقول تعالى: «و ممن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم»^(١)

و كان لحركة النفاق في زمن النبي ﷺ جهود جبارة في مواجهته ﷺ و في السعي الظاهر و الخفي لحرف المسيرة الإسلامية عن مسارها الصحيح، و قد تعرّض القرآن لأساليب المنافقين و أقوالهم في كثير من الآيات القرآنية، حتّى خصّ عنوان سورة من سوره الشريفة باسمهم، و لاشك أنّ هؤلاء المنافقين كانوا من صحابة الرسول ﷺ بحسب تعريف الصحابة الذي يتبنّاه أهل السنّة.

٢- حدّثنا القرآن الكريم أنّ في الصحابة جماعة من مرضى القلوب، حيث يقول تبارك و تعالى: «و إذ يقول المنافقون و الذين

➡ (راجع: الفوائد: ٢٩ / دارالصحابة - طنطا / تحقيق مسعد عبد الحميد)، و قال المحقّق في الهامش: قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة، و قال ابن حزم: هذه رواية ساقطة! هذا فضلاً عن أنّ التشبيه نفسه في هذا الحديث ساقط أيضاً لأنّ الاقتداء بالنجوم كلّها في وقت واحد لا يزيد السالك إلا حيرة و ضلالاً، بل لا يمكن عملاً!

١- سورة التوبة: ١٠١

(٧٢) الإفتاء على الشيعة الإمامية

في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً»^(١)

٣- وحدثنا القرآن الكريم عن فسق بعض الصحابة كما في سبب نزول هذه الآية الكريمة: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»^(٢)، حيث وصف الله تبارك و تعالى الصحابي: الوليد بن عقبة ابن أبي معيط بـ (الفاسق)،^(٣) لما افترى على بني المصطلق ما لم يصدر عنهم، وكادت أن تقع في حياة المسلمين آنذاك فتنة عظيمة لولا التدخل الرباني ونزول الوحي.^(٤)

١- سورة الأحزاب: ١٢

٢- سورة الحجرات: ٦

٣- قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «أقول: نزول الآية في قصة الوليد بن عقبة مستفيض من طرق أهل السنة والشيعة، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: و لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل: «إن جاءكم فاسق بنبأ» نزلت في الوليد بن عقبة» (راجع: الميزان في تفسير القرآن: ١٨: ٣١٩ / مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت. و راجع: الاستيعاب في أسماء الأصحاب / المطبوع حاشية للإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٥٩٥ / دار الكتاب العربي - بيروت).

٤- قال ابن كثير: «و قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، و قد روي ذلك من طرق، و من أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده، من رواية ملك بين المصطلق، و هو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين (رض)، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي سابق، حدثنا عيسى بن دينار، حدثني أنه، سمع الحارث بن ضرار الخزاعي (رض) يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه و أقررت به، و دعاني إلى الزكاة فأقررت بها، و قلت: يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام و أداء الزكاة، فمن استجاب لي دفعت زكاته، و ترسل إلي يا رسول الله رسولاً إبان كذا و كذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة من استجاب له و بلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه إحتبس عليه الرسول و لم يأت،

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٧٣)

و في تفسير قوله تعالى في الآية ٢٤ من سورة الحجر: «ولقد علمنا المستقدمين منكم و لقد علمنا المستأخرين» وردت رواية عن ابن عباس قال: «كان امرأة حسناء من أحسن الناس تصلي خلف رسول الله ﷺ، وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لأن لا يراها، و يستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الآخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله هذه الآية.»^(١) ففي الصحابة إذن من يتدنى مستواه الأخلاقي و يتسافل إلى هذا الحد!!

و ظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطه من الله تعالى و رسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقتاً لي وقتاً يرسل إلي رسول الله ﷺ ليقبض ما كان عندي من الزكاة، و ليس من رسول الله ﷺ الخلف، و لأرئى حبس رسول الله ﷺ من سخطه فانطلقوا بنا تأتي رسول الله ﷺ، و بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عتبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف، فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة و أراد قتلي! فغضب رسول الله ﷺ و بعث البعث إلى الحارث (رض)، و أقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث و فصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث فلما غشيه قال لهم: إلى من تبعتم؟ قالوا: إليك. قال: و لِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عتبة فزعم أنك منعت الزكاة و أردت قتله. قال (رض): لا والذي بعث محمد ﷺ بالحق ما رأيته بته و لا أتاني! فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة و أردت قتل رسولي؟ قال: لا و الذي بعثك بالحق ما رأيته و لا أتاني، و ما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطه من الله تعالى و رسوله. قال: فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله (حكيم)، (تفسير القرآن العظيم: ٤: ٣٠٩ / دارالمعرفة - بيروت).

١- تفسير الكشاف / للزمخشري: ٢: ٥٧٦ / و قال الزمخشري: «أخرجه الترمذي و النسائي و ابن ماجة و ابن حبان و الحاكم و أبو يعلى و أحمد و البزار و الطبري و ابن أبي حاتم من رواية أبي الجوزاء أوس بن عبدالله عن ابن عباس».

(٧٤) الإفتراء على الشيعة الإمامية

و يكفينا في الدلالة على عدم عدالة بعض الصحابة متن هذه الآية الشريفة النازلة في مدح رسول الله ﷺ و الذين معه ممن أخلص الصحبة له، حيث يقول تعالى: «محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزراع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً»^(١)

ذلك لأنّ ختام هذه الآية الشريفة كاشف تماماً عن أنّ الصحابة ليسوا جميعاً من «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» بدليل كلمة «منهم».

إذن فهذا الثناء العظيم في هذه الآية الشريفة جاء على نحو التغليب، ذلك لأنّ في مجموع من كان مع رسول الله ﷺ من يستحق هذا الثناء، و الدليل على هذا نفس ختام هذه الآية الشريفة، لأنّ الوعد الإلهي بالمغفرة و الأجر العظيم لم يشمل جميع من كان مع الرسول ﷺ، بل شمل «الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم» فقط، فتأمل!

و السنّة الشريفة أيضاً تؤكد على أنّ بعض الصحابة ليسوا عدولاً، و في ثنايا هذا البحث مرّت بنا بعض الأمثلة من السنّة الشريفة على

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٧٥) ذلك.

و من القرآن و السنّة الشريفة أخذ الشيعة نظرتهم إلى الصحابة، فهم يقدّسون و يُجلّون الصحابة الذين أخلصوا لله الصّحبة مع رسوله ﷺ فامثلوا أوامره و نواهيه و وصاياه إمتثالاً تامّاً، و استقاموا على خطّ طاعته ﷺ حتّى بعد موته، فما أحدثوا و ما غيّروا و ما بدّلوا تبدّلا.

أمّا من بدّل و غير و كتم ما أنزل الله من البيّنات و الهدى فلا تقول الشيعة فيه إلّا ما يقول القرآن المجيد: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»^(١)، و من الواضح أنّ الصحابة ليسوا جميعاً كهؤلاء، فالشيعة إذن لا يلعنون الصحابة جميعاً و لا يسبّونهم كما زعم القفاري و موسى جارالله.

والشيعة في الأسقية عند شربهم الماء يتذكّرون عطش الحسين ﷺ في كربلاء و كيف قتله الظالمون ظامئاً و أبوا أن يسقوه قطرة من الماء حتّى مضى شهيداً مظلوماً، فيلعنون قاتليه و على رأسهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص قائد الجيش الأموي الذي جرت على يديه فاجعة عاشوراء، و يلعنون أميره يزيد بن معاوية، و كلّ من اشترك في قتل سبط رسول الله ﷺ من قريب أو بعيد... فإذا كان ذلك يغيظ القفاري و موسى جارالله و ابن تيمية و إحسان ظهير و من

(٧٦) الإفتراء على الشيعة الإمامية

وراءهم... فليموتوا بغیظهم... و من رضي بعمل قوم أشرك في عملهم
و من أحبهم حُشر معهم.

٦- مل ادخل الخميني اسمه في الأذان؟!

و نقل ناصر القفاري في كتابه هذا عن «موسى الموسوي»
المعروف بانحرافه عن مذهب الشيعة أنه قال: «أدخل الخميني اسمه
في أذان الصلوات! و قدّم اسمه حتّى على اسم النبي الكريم! فأذان
الصلوات في إيران بعد استلام الخميني للحكم و في كل جوامعها كما
يلي: «الله أكبر، الله أكبر، خميني رهبر» أيّ أنّ الخميني هو القائد، ثمّ
أشهد أنّ محمّداً رسول الله!»^(١)

إنّ هذا الإدّعاء و الإفتراء أسخف من أن يُردّ عليه! إذ لا يصدّقه
أيّ عاقل! فالأذان الذي يُذاع في أوقات الصلاة من إذاعة
الجمهورية الإسلامية في إيران منذ انتصار الثورة الإسلامية فيها هو
هذا الأذان الشرعي المعهود لا غير! و هذا أمر لا يخفى على أحد من
الناس، و من المستبعد جدّاً أن لا يكون ناصر القفاري قد سمعه مراراً
من إذاعة إيران، أم أنّ القفاري هذا يذهب به سوء الظنّ إلى درجة
التصوّر أنّ لإذاعة إيران قناة خاصة تبثّ ذلك الأذان الذي افتراه
موسى الموسوي! و هذه القناة الخاصة لا يتمكن غير الإيرانيين من
سماعها!؟

١- أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣: ١٣٩٢.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٧٧)

ما أكثر الحمقى الذين يحملون شهادات علمية تشريفية لاحقيقة لها في هذا العالم!!

٧- هل يتعاون الشيعة مع اليهود؟

ونقل هذا المؤلف الذكي البارع، عن كتاب «الحكومة الإسلامية» لآية الله العظمى والمرجع الديني الكبير والقائد الفذّ السيّد الخميني، جملة من الصفحة ١٣٥ وهي:

«وإذا عزمنا على إقامة حكم إسلامي سنحصل على عصا موسى وسيف عليّ ابن أبي طالب»
ثمّ يقول ناصر القفاري:

«والجمع بين عصا موسى وسيف عليّ بن أبي طالب كناية - فيما يبدو لي - عن تعاون اليهود مع الشيعة في دولة الآيات، وهذا ما وقع بعضه في دولة الخميني كما في فضائح صفقات الأسلحة، والتعاون السريّ بينهما الذي تناقلته وكالات الأنباء واشتهر أمره»^(١)

ونقول:

شرُّ البليّة ما يُضحك! إذ يبدو أنّ ناصر القفاري هذا صفر اليدين تماماً من معرفة البلاغة والكناية خاصة وفنون الكلام الرمزي، ذلك لأن التوراة عرفاً هي رمز اليهود، كما الإنجيل رمز النصارى،

(٧٨) الإفتراء على الشيعة الإمامية

والقرآن رمز المسلمين، أمّا عصا موسى فهي رمز التأييد الإلهي الغيبيّ و القدرة الربانيّة الخفيّة و التدخل السماويّ لنصرة موسى عليه السلام على فرعون بالمعجزة الخارقة التي قلبت عصا خشبية لا تختلف عن أيّ عصا عادية إلى كائن آخر حيّ يلقف كلّ الحبال و العصيّ التي حملت إفك السحرة، حتّى انقلب السحرة أنفسهم مؤمنين لا يرهبون الموت و لا ماتوعدّهم به فرعون من أقصى العقوبات و التنكيل، و آثروا لقاء الله على هذه الدنيا الزائلة، و هذا الرمز يتمسّك به كلّ مؤمن متوكّل على الله وحده و هو ينتظر التدخل السماوي و التأييد الربّاني لنصرته على أعدائه الذين يفوقونه عدّة و عدداً!

أمّا سيف علي بن أبي طالب عليه السلام فهو رمز الجهاد الإسلاميّ و القوة الإيمانيّة الضاربة التي نافحت عن رسول الله ﷺ في أحواله كلّها و غزواته عامة، و في بدر و أحد و الخندق و حنين خاصة، حتى نادى المنادي في السماء يوم أحد:

«لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي»^(١)

و حتّى قال رسول الله ﷺ في حقّ صاحب هذا السيف يوم الخندق حينما برز إلى عمرو بن ودّ العامري:

«برز الإيمان كلّهُ إلى الشوك كلّهُ»^(٢)

١- راجع مثلاً: تاريخ الطبري: ٢: ١٩٧ / مؤسسة الأعلمي بيروت، و روي أنّ ذلك كان قد حصل أيضاً في موقعة بدر (راجع: تاريخ ابن عساكر / ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام / تحقيق المحمودي ١٥٨/١ رقم الحديث ١٩٧).

٢- راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩: ٣٤٤ / دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٧٩)

إذن فسيف علي عليه السلام: رمز - في العبارة الأدبية - للإخلاص
الإيماني والجهاد الإسلامي و شجاعة أهل اليقين الذين يستأنسون
بالموت استئناس الطفل بمحالب أمّه!

فعضا موسى وسيف علي عليه السلام رمز لاجتماع التأييد الرباني الغيبي
مع القوة الجهادية و الشجاعة الإيمانية، اللذين مع اقترانهما يكون
النصر!

و لكنّ المنافقين لا يفقهون!

أمّا ما نسبته ناصر القفاري إلى دولة الآيات - حسب تعبيره! - من
التعاون مع اليهود! فقد صحّ المثل قديماً: رمتني بدائها وانسلّت!!
تُرى هل يخفى على كلّ ذي بصيرة ووعي و دراية سياسية أنّ
الدولة المعادية للكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين حقّ العداء هي
الجمهورية الإسلاميّة في إيران وأنّ جميع حكومات منطقة قلب
العالم الإسلامي ذات علاقات وطيدة مع هذا الكيان الغاصب مُعلنة
أو خفيّة، و هل نسي ناصر القفاري أنّ أوّل قرار صدر عن زعماء
الثورة الإسلاميّة وقادتها في إيران بعد انتصار الثورة هو قطع
العلاقات مع العدو الصهيوني و كيانه السياسي الإسرائيلي، وإخراج
أعضاء السفارة الإسرائيلية من إيران، و تسليم السفارة إلى منظمة
التحرير الفلسطينيّة؟

فهل يُسلم القفاري لهذه الحقيقة الواضحة كما الشمس في رابعة
النهار فيؤمن بها؟ أم يُنكسّ على رأسه - كما العادة - فيتعامى عنها؟!
وربّما يشتدّ به غباؤه الخارق فيقول: بما أنّ الشيعة يعملون بالتقيّة

فلا يبعد أن يكون هذا من مصاديق تعاون الشيعة مع اليهود!!

هكذا! و شرّ البليّة ما يضحك!

ثمّ لنسأل القفاري: من أخرج إسرائيل مرغمة خاسئة منهزمة من جنوب لبنان؟ هل تمّ ذلك ببطولة حكّام الأنظمة العربية و أمراتها أم ببطولة شباب الشيعة في جنوب لبنان (حزب الله)؟

أولئك الشباب المؤمنون الذين بدأوا جهادهم المقدّس لتحرير بلادهم من الاحتلال اليهودي أواسط الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، متوكّلين على الله تبارك و تعالى، طالبين الشهادة في سبيله، فراع إسرائيل اذ ذاك أنها أمام عدوّ جديد صلب مستميت، لا تأخذه في الله لومة لائم، حتّى حارت إزاءه ماذا تصنع و هو يشتري الموت؟! حتّى إذا تتابعت العمليات الفدائية الإسلامية و تعاظمت الخسائر اليهودية، لم تجد إسرائيل بُدّاً من الانسحاب مخزيّة مدحورة!

و لئن أنكر القفاري هذه الحقيقة الساطعة، فليس يصحّ في الإفهام شيء - بعدها - إذا احتاج النهار إلى دليل! ثمّ هل يعلم القفاري أنّ التراث الروائي الشيعي يصرّح بأنّ الشيعة هم الذين سيقضون على اليهود؟

فليطالع القفاري هذه الحقيقة في هذا التراث بتأمّل و إنصاف!!، وليته يبقى حيّاً إلى حين تحقق ذلك - زوال إسرائيل - لعلّه يؤمن بتلك الآية يومذاك فيكسر قلمه الجاني على إخوانه الشيعة!!

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٨١)

٨- مل يلعن الشيعة الأئمة الإسلامية كلها؟

يقول القفاري: «و لعن الأئمة الإسلامية و تكفيرها ممّا استفاض في كتب الشيعة!، و لذلك فإنّ أدعية الزيارة و المشاهد التي يلهج بها الشيعة و يرددونها لا تخلو من لعن لهذه الأئمة المباركة الوسط! ففي زيارة أمير المؤمنين عليّ يقولون: «لعن الله من خالفك، و لعن الله من افتري عليك و ظلمك، و لعن الله من غصبك، و لعن الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله منهم بريء لعن الله أئمة خالفتك، و أئمة جحدتك، و جحدت ولايتك و أئمة تظاهرت عليك، و أئمة حادت عنك و خذلتك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم و بسّس الورد المورود، و بسّس ورد الواردين... أللّهم العن الجوابيت و الطواغيت و الفراعنة، و اللّات و العزّى، و كلّ ندّ يدعى من دون الله، و كلّ مفترٍ، أللّهم العنهم و أشياعهم و أتباعهم و أولياءهم و أعوانهم و محبيّهم لعناً كثيراً...»^(١)

و هذه اللعنات التي تجري على السنة هؤلاء مكان التسييح و التهليل لها آثارها في تعبئة نفوسهم حقداً و كراهية للأئمة و دينها...»^(٢)

الملفت للإنتباه هنا أيضاً - بعد مراجعتنا لكتاب من لا يحضره الفقيه - أنّا وجدنا مقطع (اللعن) في متن هذه الزيارة المباركة يبدأ بعبارة: «و لعن الله من قتلك» ثمّ تأتي بقية العبارات الأخرى، لكنّ

١- نقل القفاري هذا النص عن كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢: ٣٥٤.

٢- أصول مذهب الشيعة: ٢: ٩١١-٩١٢.

(٨٢) الإفتراء على الشيعة الإمامية

القفاري حذف العبارة الأولى!! ثم حين وصل في داخل المتن إلى عبارة «وَأَمَّةٌ قَتَلَتْكَ» حذفها أيضاً!! ثم حين وصل إلى عبارة: «أَلْهَمَ الْعَن قَتْلَةَ أَنْبِيَائِكَ وَ قَتْلَةَ أَوْصِيَائِكَ أَنْبِيَائِكَ بِجَمِيعِ لَعْنَاتِكَ وَ أَصْلَهُمْ حَرًّا نَارًا» حذفها أيضاً!!^(١)

ماذا أراد القفاري هنا من وراء هذا الحذف المتعمد على جاري عاداته؟!

لقد أراد أن يغيّر جوّ مقطع هذا اللعن الخاص بمن قاتلوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام و تظاهروا عليه و جحدوا ولايته و حادوا عنه، ليخلق منه جوّاً آخر يُستظهر منه أنّ اللعن يشمل الأمة كلّها منذ وفاة النبي ﷺ إلى يوم شهادة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد أراد القفاري بهذا أيضاً أن يستثير ويستفزّ المخاطب السني ضد أخيه الشيعي، لكنّه غفل عن أنّ هذه الأمة الإسلامية المباركة لم تزل حيّة واعية لما يُريد بها (دعاة التفريق)، ولم يزل فيها من أبنائها من يستطيع كشف ألاعبهم، و يرجع المتون إلى مصادرها و أصولها ليفضح مدى الحذف و التشويه و التلاعب!

إنّ الأصل الصحيح التام لهذا المتن كاشف عن أنّ المراد بهذا اللعن ليس جميع الأمة الإسلامية، بل أولئك الذين تظاهروا على أمير المؤمنين علي عليه السلام و قاتلوه، و ما زالوا على مخالفته و حربه حتّى مضى شهيداً.

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٨٣)

و إخواننا أهل السنة يعتقدون بأن علياً عليه السلام رابع الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، وأن الخارج على إمام زمانه باغ، و مفرق لكلمة هذه الأمة و شاق لعصا وحدتها.

فهل لعن أمثال هؤلاء البغاة لعن للأمة الإسلامية كلها!؟

ثم إنَّ ما ورد في هذا المتن من مفاهيم و عناوين ورد بصيغة عامة غير مقيّدة، لكننا نجد القفاري في حاشية كتابه يصرفها إلى حيث يشتهي و يقيدها كما يهوى، حرصاً على الإستفزاز و الإثارة، فيعلّق على كلمة «ظلمك و غصبك» قائلاً: «الظلم و الغصب عندهم هو تولية أبي بكر و عمر و عثمان الخلافة»^(١)، و ليس في النصّ ما يشير إلى هذا!

و يقول بصدد عبارة: «ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به»: «أي من رضي بخلافة أبي بكر، لأنّه رضي - بزعمهم - بالظلم و الغصب، فيشمل جميع أئمة محدّد ما عدا غلاة الشيعة!»^(٢)، و ليس في النصّ ما يوحي بهذا!

و يقول بصدد «اللهمّ العن الجواييت و الطواغيت و الفراعنة و اللّات و العزّي و كلّ ندّ يدعى من دون الله...»: «الجواييت... إلخ: هم في اعتقادهم خلفاء المسلمين و لاسيما الخلفاء الثلاثة، و الخلفاء الأمويون، و النّدّ الذي يدعى من دون الله هو الإمام الذي يبايع دون

١- راجع كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: حاشية الصفحة ٩١١

٢- نفس المصدر

أُثْمِتَهُمُ الْإِثْنِي عَشَرَ»^(١) وليس في النص ما يشير إلى هذا!
و هو في كلِّ هذه التفسيرات التي يفرضها على هذا المتن
و يلصقها به إلصاقاً، يزعم أن هذه المعاني التي حملها على هذا المتن
مستفادة من بطون بعض كتب الشيعة!^(٢)

إنَّ هذا التفسير القسري الذي حاول القفاري أن يفرضه على هذا
النصّ - بعد اقتطاعه لبعض عباراته و حذفها منه - يأباه الجوّ الحقيقي
لهذا النصّ في ضمن الجوّ الكلّي لمتن هذه الزيارة التي يرويها الشيخ
الصدوق عليه السلام في كتابه^(٣)، وإنَّ من يطالع تمام متن هذه
الزيارة ليكتشف بسهولة الغرض السيئ من وراء محاولة القفاري
إخراج هذا الجزء من متن الزيارة عن أصل جوّها العام طمعاً في
اثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعي!

وإلّا هل يأبى أهل الغيرة الدينية من إخواننا أهل السنّة أن يلعنوا
قتلة أمير المؤمنين علي عليه السلام و قتلة الحسن و الحسين و أئمة
المسلمين عليهم السلام، و قتلة الأنبياء و الأوصياء؟!^(٤)

أبداً! إنَّ أهل السنّة حقاً لا يأبون أن يلعنوا من لعنهم الله
و رسوله صلى الله عليه وآله. و ممّا يثير العجب أن هذا القفاري و هو يدّعي لنفسه أنّه
مسلم موحد، و يرمي المسلمين الآخرين بالشرك و يصفهم

١- نفس المصدر

٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢ / حاشية الصفحة ٩١١.

٣- راجع: كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢: ٣٥٢ - ٣٥٦ رقم ١٦١٣ / ٢ - نشر دار
الأضواء - بيروت

٤- انظر هذه الفقرات من متن الزيارة

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٨٥)

بالمشركين، قد اندفع هنا بلا شعور و لا تحفّظ ليدافع عن الجبت والطاغوت واللات والعزى والفراعنة - وكأنّ هؤلاء عنده جزء من الأُمّة الإسلامية أو كلّ الأُمّة الإسلاميّة!! - ليتّهم الشيعة بأنّهم يكفّرون الأُمّة الإسلاميّة جمعاء وفي كلّ عصورها!!

٩ - هل كتاب «المراجعات، افتعال شيعي و مكيدة رافضية»؟

قال القفاري «ولقد أخرجت المكتبة الشيعية «المعاصرة» كتباً للدعوة للتشيع ونشره بين أهل السنّة... ولعلّ المطلّع على هذه الكتب يدرك أنّ واضعها أحد رجلين: إمّا زنديق ملحد هدفه إضلال عباد الله بالكذب والخداع!، أو رافضي جاهل استحلّ باسم التقيّة كلّ شيء!... ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب يُسمّى «المراجعات» وضعه آيتهم العظمى عبدالحسين شرف الدين الموسوي... ولقد اهتمّ دعاة «الرفض» بهذا الكتاب، وجعلوه وسيلة من أهمّ وسائلهم التي يخدعون بها النّاس، أو بعبارة أدقّ يخدعون به أتباعهم و شيعتهم! لأنّ أهل السنّة ولاسيّما أهل العلم فيهم لا يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب!! ولا غيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض!... أللّهم إلّا من له عناية و اهتمام خاص بمذهب الشيعة!!... الكتاب عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشري و هو - بزعم الرافضي - يمثّل أهل السنّة و يستدلّ لمذهبها!! وبين عبدالحسين و هو يمثّل الشيعة و يستدلّ لمذهبها... و انتهت هذه المراسلات بإقرار شيخ الأزهر بصحّة مذهب الروافض و بطلان

(٨٦) الإفتاء على الشيعة الإمامية

مذهب أهل السنة!!... و الكتاب بلا شك مكيدة رافضية، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض»^(١).

في هذا المقطع المنتقى نشاهد القفاري - و قد فقد اتزانه و خرج عن طوره! - قد أساء إساءات متعدّدة و افترى افتراءات أخرى! لقد أساء إلى علماء أهل السنة و وصفهم بأنهم لا يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب و لا غيره من عشرات الكتب التي تصدرها مطابع الشيعة! وهذا ليس من شأن أهل العلم الذين هم أولى الناس بالاهتمام بجميع المسلمين و بفرقهم، و بمستجدات التيار الديني الإسلامي بشكل عام!

ثمّ أساء إلى المرحوم الشيخ الجليل و العالم النحرير مرجع أهل السنة في زمانه سماحة شيخ الأزهر سليم البشري، فقال مستخفاً به: «و هو - بزعم الرافضي - يمثل أهل السنة و يستدلّ لمذهبها!!»، و كأنّ هذا القفاري لا يرى الشيخ البشري أهلاً لهذا الموقع الشريف! و ما عشت أراك الدهر عجباً!

ثمّ افترى على الشيخ البشري بأنّه أقرّ بصحة مذهب الشيعة و بطلان مذهب السنة!! و إنّ من يطالع الكتاب (المراجعات) لا يجد لمدّعى القفاري أيّة صحّة، بل كلّ ما انتهت إليه هذه المراجعات هو أن الشيخ البشري كتب قائلاً:

«١- لا تحكم محاكم العدل بضلال المعتصمين بحبل أهل البيت،

١- راجع: كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٦٣ - ١٣٦٤

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٨٧)

الناسجين على منوالهم، ولا قصور في أئمتهم عن سائر الأئمة في شيء من موجبات الإمامة.

٢- والعمل بمذاهبهم يُجزّي المكلفين ويُبري ذمهم، كالعمل بأحد المذاهب الأربعة بلاريب.

٣- بل قد يقال إنّ أئمتكم الإثني عشر أولى بالإتباع من الأئمة الأربعة وغيرهم، لأنّ الإثني عشر كلّهم على مذهب واحد، قد محصوه وقرّروه بإجماعهم، بخلاف الأربعة فإنّ الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلّها، فلا تُحاط موارده ولا تُضبط، ومن المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لا يكفي في الضبط ما يمحّصه إثناعشر إماماً.

هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف، ولا وجهة لمتعسف. نعم، قد يشاغب النواصب في إسناد مذهبكم إلى أئمة أهل البيت، وقد أكلفكم - فيما بعد - بإقامة البرهان على ذلك.

٤- والآن ألتمس ما زعمتموه من النصّ بالخلافة على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهاته صريحاً صحيحاً من طريق أهل السنّة، والسلام»^(١)

فأين هذا - على صراحته! - من فرية القفاري بأنّ الشيخ البشري أقّر ببطلان مذهب أهل السنّة!؟

أمّا الفرية الأخرى، فقول القفاري بصدد كتاب المراجعات

١- كتاب المراجعات: ١٠٩ / المراجعة رقم ٥ / دار المرتضى.

(٨٨) الإفتاء على الشيعة الإمامية

الشريف: «والكتاب بلاشك مكيدة رافضية، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض!»

و يبدو أن القفاري لم يراجع كتاب المراجعات! و لم يطالع سند هذا الكتاب! ولو كان قد راجع هذا الكتاب في طبعته العشرين التي صدرت عن مطبوعات النجاح بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م، مع مقدمة الدكتور حامد حقني داود و هو من أساتذة كلية الألسن - جامعة عين شمس - في القاهرة، و محمد فكري عثمان أبو النصر و هو أحد علماء الأزهر، لما تجرأ القفاري على اجترار هذه الفرية، و لتيقن أن هذا الكتاب الشريف كان حقاً مناظرة رائعة بين عالين كبيرين من علماء دنيا الإسلام، كانت غايتها طلب الحقيقة من خلال المنطق الصحيح التام و الاستدلال القوي و الإنصاف، و لأيقن القفاري أيضاً أن الشيعة - ليسوا بحاجة إلى اصطناع كتب موهومة - مع ما عندهم من الدلائل القوية و البراهين المحكمة و الشواهد الكثيرة من كتب أهل السنة في المواضيع المختلفة.

* الإستناد إلى الأحاديث الضعيفة و الشاذة عند الشيعة!!

و من الملفت للإنتباه و المثير للتعجب أيضاً في كتاب القفاري هو أن أكثر رجوعه إلى الكتب الروائية الشيعية، دون الكتب الكلامية الكاشفة عن أصول العقائد! كما أن أكثر اختياره - عن عمدٍ وإصرار - للروايات و الأحاديث التي هي في نظره مجلبة للشبهة، أو الروايات و الأحاديث الضعيفة الشاذة، فكان ينتقيها انتقاءً مدروساً مغرضاً و يعرضها كأصل من أصول مذهب الشيعة!

في حين أن هناك روايات و أحاديث صحيحة وكثيرة - يعتمدها الشيعة - تقع قبال تلك الروايات و الأحاديث الضعيفة أو الشاذة كان قد أعرض عنها القفاري عامداً لأنها لاتخدم الغرض الذي من أجله ألف كتابه المسموم هذا!

إنّ صرف وجود حديث ضعيف أو شاذّ - أو أكثر من حديث - في جامع من الجوامع الحديثية الشيعية ليس دليلاً على أن الشيعة تعتمد و تعمل على طبقه، لكنّ القفاري أغض طرفه عامداً عن هذه الحقيقة، ليظهر لقرّاء كتابه - و جلّهم ممّن لا يعلمون عن مذهب الشيعة إلّا ما يسمعون من أعدائه - أن الشيعة تركز على مثل هذه

الروايات الضعيفة أو الشاذة في اعتقادها و فقها!

لقد أخذ القفاري بشكل خاص و بكثرة عن كتاب بحار الأنوار للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي رحمته الله، و المجلسي نفسه يعترف في كتابه هذا أنه حاوٍ على روايات قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، و لاشك أن إحدى غايات المجلسي رحمته الله من وراء كتابه هذا هو حفظ الروايات و الأحاديث عن فقدان و الضياع، و هذه الغاية بذاتها غاية مشكورة مأجورة إن شاء الله تعالى، و أكثر علماء الشيعة الإمامية يقولون: إنه لا يمكن العمل بروايات كتاب البحار أو أي كتاب حديثي آخر بلا تحقيق و تمحيص، فإن البحر يحتوي على الدرّ و الصدف. (١)

و هذا المعنى ينطبق أيضاً على الجوامع الحديثية السنيّة، ففيها روايات و أحاديث كثيرة ضعيفة و شاذة، و لا يمكن القول أن مؤلف الجامع الروائي الكذائي مثلاً يعتقد بكلّ ما فيه! بل له فضل الجمع و الحفظ، أمّا اعتقاداته و فقهه فيؤخذ و يُعرف من الكتب الاعتقادية

١- العجيب أن القفاري يعترف بأنّ نظر أكثر الشيعة بصدد الكتب الأربعة المعتبرة عندهم هو أنهم لا يذهبون إلى القول بصحة جميع ما فيها، حيث يقول: «فالأخباريون يمنعون الإجتهد و يعملون بأخبارهم؛ و يرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة كلّها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، و يقتصرون على الكتاب (أي القرآن) و الخبر، و لذلك عرفوا بالأخباريّة نسبة إلى الأخبار، و ينكرون الإجماع (و دليل العقل)، و لا يرون حاجة إلى تعلّم أصول الفقه، و لا يرون صحته. و يقابلهم الأصوليون أو المجتهدون، و هم القائلون بالإجتهد و بأنّ أدلة الأحكام: الكتاب و السنة و الإجماع و دليل العقل، و لا يحكمون بصحة كلّ ما في الكتب الأربعة... و يمثلون الأكثرية» (راجع: أصول مذهب الشيعة: ١: ١٤٢: ١٤٣).

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٩١)

(الكلامية) و الكتب الفقهيّة التي ألفها أو يتبنّاها.

و الفقيه (المجتهد) حينما يمارس عملية الإستنباط لابدّ له من مراجعة الكتب الرجالية المتكفّلة بتوثيق رواة الأحاديث أو تضعيفهم حتى يميز بين الصحيح و السقيم، ثمّ يستند إلى ما تمّت لديه الحجّة بينه و بين الله فيبدي رأيه الفقهي و يفتي بذلك، معرضاً عن الحديث الضعيف أو الشاذّ الفاقد للإعتبار حسب ما تبناه في مبحث حجّيّة خبر الواحد في علم الأصول.

و لم يُعرف أو يُسمع في تاريخ الفقهاء و الفقاهاة أنّ فقيهاً - حينما صحّت عنده رواية في مبحث فقهي، و رأى ضعف غيرها في نفس المبحث - هجم على مؤلّف الجامع الروائي و رماه بالشرك أو الكفر إذا كان مدلول الرواية الضعيفة مخالفاً لمذهب الفقيه و رأيه! أو اتهمه بالخروج عن الدين لمجرد نقل الرواية الضعيفة في جامعهم!

إنّ المفروض في التعاطي العلمي أن يُعرض هذا الفقيه عن الحديث الضعيف و يتركه مع كامل التقدير و الإحترام و الإمتنان لذلك المحدث صاحب الجامع الروائي، لما بذله من جهود مضيئة و ما لاقاه من صعوبات و مشاق في سبيل جمع الأحاديث و الروايات، ثم تدوين الكتاب الجامع حفظاً لها من فقدان و الضياع. و الإنصاف و الموضوعيّة يوجبان أن لا يُسند مدلول الحديث الضعيف أو الشاذّ إلى مذهب المحدث صاحب الجامع الروائي، و لا يُتخذ مستمسكاً عليه، و لا يُشعّع عليه بالشرك أو الكفر لمجرّد نقله لهذا الحديث الضعيف أو الشاذّ في كتابه.

(٩٢) الإستناد إلى الأحاديث الضعيفة

و متى كان مجرد نقل الحديث دليلاً تاماً على كشف رأي ناقله،
أو طريقاً لمعرفة عقيدته ومذهبه؟

إن من يقرأ كتاب ناصر القفاري يتّضح له بجلاء تام أنّ هذا
القفاري قد تنكّر لهذه الحقائق المتسالم عليها عند أهل العلم، وكأنّه
لا يعرف شيئاً عن علم الحديث، وطريقة المحدثين، وأسلوبهم في
تدوين الكتب الحديثية، وكيفية جمع الأحاديث والروايات!

فعمد مصرّاً على إصاق تهمة الشرك والكفر والإلحاد بجلّ
مؤلفي الشيعة ومحدثيهم، وبأسلوب خرج به هذا القفاري عن أدنى
لوازم الحفاظ الأدبي والأخلاقي!

تُرى هل يمكن لهذا القفاري أن يُنكر أو أن يتستّر على العدد
الكثير جدّاً من الروايات والأحاديث الموجودة في الجوامع
الحديثية السنيّة والدّالة على وقوع التحريف في القرآن، والروايات
الدّالة على التجسيم، والروايات التي تتضمّن الإهانة للأنبياء ﷺ
ولخاتم الأنبياء ﷺ؟

فإذا أخذنا بقياسه الخاطي المتعمّد - والعياذ بالله - لوجب أن
نقول كما يقول هو بأن أصحاب (مؤلفي) تلك الجوامع يعتقدون بمثل
هذه الروايات!

و إذا كان الأمر كذلك - وليس كذلك! - فلن ينجو إذن أحدٌ من
محدثي المسلمين سنّة وشيعة من تهمة الشرك والكفر، ذلك لأنّ
جميع المصادر الحديثية لا تخلو من مجموعة من الروايات الضعيفة
أو الشاذّة المسبّبة للأخذ والردّ، والرفض والقبول، والإعتراض

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٩٣)

والموافقة! و معنى هذا أنّ السيّاف ناصر القفاري - بأمر من يأتمر بأمره! - سيقطع أعناق جميع محدّثي الإسلام سنّة و شيعة بعد أن يصدر عليهم الحكم بجريمة الشرك و الكفر و الالحاد!!

إنّ من يتبع هذه الطريقة المتحرّجة و هذا المنهج الأرعن الفاقد لأصول الخلق و الأدب: إمّا ساذج جاهل، غير عارف بحقائق التعاطي العلمي و بأساليب الكلام و الحجج، و لامتأدب بآداب أهل العلم و المعرفة، أو حاقد عنود متعصّب قد باع آخرته بالأرذل الأدنى من حطام الدنيا الفانية طمعاً فيما قد يسخو - أو لا يسخو - به السلاطين على مثله! أعاذنا الله و جميع المؤمنين من هذه العاقبة.

* الخط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب أهل البيت عليهم السلام) و مذاهب أخرى

المفروض أنّ الموضوع الأساس لهذا الكتاب هو عرض و نقد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين يعتقدون بإمامة و خلافة الأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هم على الترتيب: الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثم أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثم ابنه عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ثم ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، ثم ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ثم ابنه الإمام عليّ الرضا، ثم ابنه الإمام محمد الجواد عليه السلام، ثم ابنه الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ثم ابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثم ابنه الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام، الذي هو حيّ غائب عن الأنظار إلى أن يأذن الله له في ظهوره، فهو الإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

و المفروض أنّ مهمة عرض و نقد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي يضطلع بها كتاب ناصر القفاري قائمة على أساس دراسة و ثائفة و علمية معمّقة لا تخطئ بين المذهب الذي هو أصل موضوع

(٩٦)..... الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

الكتاب و بين المذاهب الأخرى التي نسبتها إلى هذا المذهب كنسبتها إلى مذاهب أهل السنة الأربعة الأخرى، في الاشتراك ببعض العقائد و المباحث الكلامية و الفروع الفقهية، و في اختلافها في كثير أو قليل من ذلك.

غير أن القارئ الخبير لا يحتاج إلى تدقيق طويل ليكتشف أن كتاب ناصر القفاري قد خلط بين مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية و بين مشرب أولئك الذين يقولون بألوهية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مع أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية، تبعاً للإمام علي عليه السلام خاصة و لأئمتهم الباقيين عليه السلام عامة برآء ممن يقول بألوهية علي عليه السلام أو ألوهية أي إمام آخر من البشر، و قد أمر الإمام علي عليه السلام في زمنه باستتابة من قال بألوهيته أو بإحراق من لم يتب بالنار.^(١)

كما خلط ناصر القفاري أيضاً بين مذهب الإمامية الإثني عشرية و بين مذهب الزيدية القائلين بإمامة كل من قام بالسيف و لو لم يكن منصوباً من قبل الله تعالى! دون من لم يقم بالسيف و إن كان إماماً منصوباً من قبل الله تعالى! و كم هو الفرق كبير و أساسي بين هؤلاء و بين الشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين يؤمنون بأدلتهم القاطعة أن أئمتهم منصوبون من قبل الله تبارك و تعالى، و أن قيام بعضهم أو عدم قيام بعض آخر منهم إنما هو تنفيذ لأمر الله تعالى و امتثال

١- و الشيعة الإمامية تقول بكفرهم. راجع جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن النجفي ج ٢ / ٤٥٩ مؤسسة المرتضى العالمية، لبنان.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٩٧)
لمشيئته.

و خلط ناصر القفاري أيضاً بين الشيعة الإمامية وبين
الإسماعيلية الذين يعتقدون بسنة فقط من أئمة أهل البيت عليه السلام، ذلك
لأنهم يرون أنّ إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الإمام بعد
أبيه، وقد رفعه الله إليه! فهم لا يعتقدون بإمامة الإمام موسى بن
جعفر عليه السلام والأئمة من بعده عليه السلام، مع أنّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية
يعتقدون بأنّ من أنكر واحداً من أئمة أهل البيت عليه السلام فقد أنكرهم
جميعاً!

*** التعليل الشيعي، لنظرات الشيعة الموافقة لنظرات أهل السنة!!**

من الملفت للإنتباه والتعجب أنّ القفاري يعتمد إلى ما يقرّره
علماء الشيعة في متون كتبهم على أساس الاجتهاد الصحيح ^(١) من
نظر فقهي أو اعتقادي موافق ومنسجم مع نظر أهل السنة، فيصرّ على
تعليله تعليلاً سيئاً مغرضاً قائماً على سوء الظنّ و خبث السريرة
والطوية!

فترى القفاري - فضلاً عن تكبيره و تضخيمه لنقاط الاختلاف
والنزاع من أجل الإيقاع بالشيعة و تنفير السنة منهم - يلجأ عامداً

١- إن من يطالع مصادر الشيعة و متونهم الاعتقادية و الفقهية بتأمل و دقة و انفتاح -
بلا رفض مستبق و استخفاف - تتجلى له هذه الحقيقة بوضوح تام و هي: أنّ علماء
و مفكرى الشيعة لا يظهرون حكماً أو اعتقاداً و لا يتبنونها إلا على أساس دليل
محكم و مستند قوي، و لا يقيمون مبانيهم الاعتقادية و الفقهية إلا على أساس
الاجتهاد الذي يستمد أصوله و مقوماته من القرآن الحكيم و السنة الشريفة.

(٩٨) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

إلى تفسير و تعليل نقاط الاتفاق و الالتقاء تفسيراً سيئاً و تعليلاً مغرضاً، متّهماً الشيعة بأنّ هذا التوافق منهم مع أهل السنّة ليس أمراً على الحقيقة! بل هو إمّا عن محمل التقية منهم! أو عن حيلة و نفاق حسب تعبيره!

ليصل آخر المطاف إلى هذه النتيجة التي يجتهد في فرضها فرضاً على المسلم السنّي و يحمّله إياها بالإكراه و بلاأساس، فيقول: «إنّ من كان أذانه غير أذاننا، و صلاته غير صلاتنا، و طلاقه غير طلاقنا، و عتقه غير عتقنا، و حجّته غير حجّتنا، و فقهاؤه غير فقهاءنا، و إمامه غير إمامنا، و قراءته غير قراءتنا، و حاله غير حالنا، و حرامه غير حرامنا، فلا نحن منه و لا هو منّا.»^(١)

و ترى القفاري بعد أن يذكر أسماء علماء الشيعة الكبار القائلين بعدم وقوع التحريف في القرآن، يكتب قائلاً: «إنّ القول الحق هو تقيّة من الشيعة»^(٢).

من هنا تراه لا يألو جهداً في إلصاق تهمة «القول بتحريف القرآن» بالشيعة.^(٣)

و تراه في موقع آخر بعد أن ينقل نظر المرحوم السيد عبدالحسين شرف الدين أعلاه مقامه بصدد عدم تكفير الصحابة، يعمد إلى حمل هذا النظر على التقية و يعلّله بها فيقول: «كما أنّ

١- أصول مذهب الشيعة، ٣: ١٢٤٥.

٢- راجع: نفس المصدر: ج ١ / ٢٨٨.

٣- راجع: نفس المصدر: ٣: ١٢٠٣ - ١٢١١.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (٩٩)

الاثني عشرية لمهارتها في التقيّة، قد خفي أمرها حتى نجد في شرح صحيح مسلم القول بأنّ الإماميّة لا تكفّر الصحابة وإنّما ترى أنّهم أخطأوا في تقديم أبي بكر. (١)

وتراه أحياناً يصرّ في تفسيره لأقوال بعض علماء الشيعة على أنّ المقصود ليس الظاهر من المتن، بل أمر آخر! هو ما تشتهيه أهواء ومخيلة القفاري!

فهو - على سبيل المثال - ينقل فقرة من كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني عليه السلام: «توجد نصوص كثيرة تصف كلّ نظام غير إسلامي بأنّه شرك، والحاكم والسلطة فيه طاغوت، ونحن مسؤولون عن إزالة آثار الشرك من كلّ مجتمعنا المسلم ونبعدها تماماً عن حياتنا...» (٢)

فيقول القفاري معلقاً على هذا النصّ: «فأنت ترى أنّ مفهوم الشرك عنده هو أن يتولّى على بلاد المسلمين أحد من أهل السنّة، فحاكمها حينئذٍ مشرك، وأهلها مشركون، فدين هؤلاء «الولاية» لا التوحيد، ولذلك فإنّ الشرك قد ضرب بجرانه في أقطارهم!» (٣)

هكذا يحرفّ القفاري الكلم عن مواضعه! ويفسر المتون تفسيراً قسرياً بعيداً عن محتواها! وإلاّ هل يشكّ قارئ عربيّ منصف بأنّ المقصود من كلام الإمام الخميني عليه السلام هو النظام اللا إسلامي الذي

١- نفس المصدر ١٣/١.

٢- راجع: الحكومة الإسلامية: ٣٣ - ٣٤.

٣- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٨٤.

(١٠٠) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

لا يحكم بالشرعة الإسلامية! وأنّ الطاغوت هو الحاكم بغير الإسلام
سواء أكان غير مسلمٍ او مسلماً سنياً أم شيعياً بلافرق!

* التَّنَقُّبُ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لِدِرَاسَةِ الْمَذَاهِبِ!

إنَّ دراسةَ أيِّ مذهبٍ دراسةً صحيحةً تامةً تفرضُ على الدارس أن يتعرَّفَ على أصول وأُسُس هذا المذهب التي يبتني ويقوم عليها، معرفةً صحيحةً تامةً، من خلال مراجعة مصادر هذا المذهب في الاعتقاد والفقه والحديث والأصول، ومعرفة آراء علماء هذا المذهب الذين تسالم أتباع هذا المذهب على علميتهم وتفضيلهم وصلاحياتهم لتمثيل هذا المذهب، ومعرفة ما اتفق عليه هؤلاء الأعلام من علماء المذهب، ومعرفة المشهور فيما بينهم في ما لم يتفق عليه جميعهم، ومعرفة طرقهم التي يعتمدونها في الأخذ عن مصادرهم الحديثية والعمل بما فيها، وركائزهم أو مبانيهم في التمييز بين الروايات من صحيحة ومعتبرة وضعيفة وشاذة.

ولا يحقَّ لمن لم يلمَّ بهذه المعرفة الضرورية أن يدَّعي أنه أهلٌ بالفعل لعرض وتقدُّم هذا المذهب أو ذاك، فإذا ادَّعى ذلك فهو متجرِّءٌ متجاوزٌ لحدِّه! كاشفٌ عن جهله، ولا شكَّ أنَّ الشرائط اللازمة لهذا التأهل ليست بخافية على ناصر القفاري ولا على قسم العقيدة والمذاهب والمعاصرة في جامعة «محمد بن سعود»، وإذ قد

(١٠٢) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

تصدّي القفاري لمثل هذه المهمة العلمية قبل استكمال شرائطها
ومقدماتها - عن علم و عمد - إذن فهو قد تنكّب عن الطريق
الصحيح لدراسة أيّ مذهب عن عمد و قصد!

تُرى ماذا يصنع ناصر القفاري هذا - صاحب شهادة الدكتوراه من
درجة الشرف الأولى - إزاء رواية أو روايات ربّما كانت معتبرة أو
صحيحة، منقولة في الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإمامية
الإثني عشرية، إلاّ أنّ جُلّ علمائهم لا يتمسكون بها! ^(١) لسبب من
الأسباب التي لم يُحط علماً بها هذا القفاريّ، أو لمبنى من مبانيهم
التي لم يتأهّل لاستيعابه هذا القفاريّ؟!

ماذا يصنع هذا القفاريّ صاحب الدكتوراه إزاء مسألة قد يدّعي
بعض العلماء الإجماع عليها، في وقت يدّعي بعض آخر منهم
الإجماع على ضدها، وكلّ من هؤلاء في موقفه من هذه المسألة
على ضوء مبناه الأصولي، الذي يجهله هذا القفاريّ تمام الجهل!
أفيقفُ القفاريّ على أحد هذين الإجماعين دون الآخر، فيأخذه
وينسبه إلى المذهب متوهماً أنّ هذا هو المجمع عليه بلاخلاف عند
علماء المذهب؟!

١- كمثل الروايات الواردة في طهارة الخمر، وهي روايات عديدة، الصحيحة منها
على الأقل خمس روايات (أنظر: وسائل الشيعة: ١٠٥٧:٢ باب ٣٨ الأحاديث:
١٠ و ١٢ و ١٣ و ١٤ / و باب ٣٩ حديث ٢) قال الفقيه والمرجع الكبير السيد محسن
الحكيم رحمته الله: «نعم، يدلّ على الطهارة جملة أخرى قيل تزيد على عشرين حديثاً...»
وذكر أنّ هناك خمسة منها صحيحة السند (راجع: مستمسك العروة الوثقى: ١: ١:
٤٠)

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة (١٠٣)

و ماذا يصنع هذا القفاري إزاء رواية من الروايات التي ظاهرها القول بالتجسيم على الله سبحانه، أو رواية ظاهرها إمكان رؤية الله سبحانه، و قد نقلها أصحاب الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة أو بعضهم؟ هل يأخذها على ظاهرها - كما هو شأن الحنابلة^(١) - مستأنساً بهذا الظاهر، ثم يزعم بأن ما يطفح به ظاهر تلك الرواية هو الرأي المشهور عند الشيعة، أو الرأي المجمع عليه عندهم، بدون الرجوع الى عقائد الشيعة و منابعم المعتمدة في الاعتقادات، أو مناقشة علمائهم في مثل هذه الروايات المتشابهة حتى يطلع على ما يقوله العلماء في مثل هذه الروايات؟!

١- «غير خفي على أولي الألباب: أن أحمد بن حنبل، إمام الحنابلة، كان معتقداً بأن الله جسم! وله أعضاء: كاليد، و الوجه، و العين، و يتمسك لذلك بظواهر الآيات المتشابهة، و هكذا قال مالك بن أنس إمام المالكية. (راجع: الملل و النحل ج ١ ص ٩٣ و ١٠٤)، و قال الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٣٠١:

فإن حنبلياً قلت قالوا بأنني ثقيل حلولي بغيب مجسم ... هذا... و كتب الحنابلة مشحونة بهذه الخرافات في الأمور الاعتقادية، حتى أن أبا الحسن الأشعري رئيس الأشاعرة تبعاً لقدوته أحمد بن حنبل قد عقد أبواباً لهذه المطالب في كتابه «الإبانة في أصول الديانة: ص ٣٦ إلى ٥٥»، و ذهب إلى هذا المذهب الوهابيون، و قدوتهم ابن تيمية (راجع: العقيدة الحموية، في ضمن مجموعة الرسائل، ج ١ ص ٤٢٩، و منهاج السنة ج ٢ ص ٢٤٠ إلى ٢٧٨، و الرسائل الخمس المسمى بالهدية السنية ص ٩٧ - ٩٩ و في الرسالة الخامسة ص ١٠٥)، (نهج الحق و كشف الصدق: ٥٥ / الحاشية رقم ٢)

* الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمة في المباحث!

من مميزات المحقق المتتبع المدقق في دراسة مذهب من المذاهب، أو علّم بارز من أعلام العلماء، أو شخصية تاريخية مرموقة، أن تكون دراسته عميقة شاملة محيطة بكل جوانب وتفريعات موضوع الدراسة و تشعبات أبعادها.

غير أنّ من يقرأ كتاب «أصول مذهب الشيعة» لمؤلفه ناصر القفاري هذا يلاحظ - خصوصاً بعد مراجعة مصادر كلّ موضوع - أنّ هذا الكتاب خال من كلّ لوازم و مقومات الدراسة العميقة الشاملة المحيطة، لأنه يجد أنّ مؤلف هذا الكتاب مثلاً يأخذ صدر الكلام من دون ملاحظة ذيله، و بلاتأمل كاف في صدره! فينسب إلى صاحب هذا الكلام من القول المتعسف ما لا يرضاه صاحب الكلام، و ما لا يدلّ عليه الكلام بمجموعه من صدر و ذيل، أو تكون لمسألة ما عدّة فروع، بعضها قطعيّ قد اتفق عليه أهل العلم أجمعون، و بعضها مختلف فيه، فيأخذ القفاري بالمختلف فيه و ينسبه إلى القائل اعتسافاً بلا رويّة و لاتأمل و تدبر! بل زوراً و افتراءً عليه!

فمثلاً من المسائل التي ركّز عليها هذا القفاري، و توسّع في

(١٠٦) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

البحث عنها - كما يتخيل طبعاً - و تتبع فيها أقوال علماء الشيعة ورواياتهم! مسألة تحريف القرآن، التي لم ينصف القفاريّ الشيعة في البحث عنها - كما سنبينه بتوسّع في النقد التفصيلي لمباحث كتابه - ولكن متى أنصف هذا الرجل الشيعة حتّى نعتب عليه؟!

إنّ من يهدف إلى نقد أصل من أصول مذهب ما - بل في كلّ قضية أو مسألة - يجب عليه أن يحدّد أولاً محل النزاع، ثم يفحص رأي القائل الذي يريد نقد رأيه و يثبت بطلانه، أو يكشف عن نقائصه، بدقّة و تدبّر.

و التحريف عنوان عام ينطوي على معاني متعدّدة مختلفة، فلا يصحّ إسناده إلى مذهب أو نفيه عنه قبل تحديد المعنى المقصود من التحريف.

فمن معاني التحريف: «نقل الشيء عن موضعه و تحويله إلى غيره» و منه قوله تعالى: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه»^(١) و لاختلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله، فإن كلّ من فسّر القرآن بغير حقيقته، و حمّله على غير معناه فقد حرّفه، و نرى كثيراً من أهل البدع و المذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم و أهوائهم! و قد ورد المنع الشديد عن هذا التحريف، و ذمّ فاعله في الكتاب! و على لسان رسول الله ﷺ و لسان أئمة أهل البيت عليه السلام^(٢).

١- سورة النساء: الآية ٤٤.

٢- في الكافي، بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير:

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١٠٧)

و من التحريف القول بالزيادة! أي أن بعض ما في المصحف الشريف الذي بأيدينا ليس من كلام الله المنزل!

و هذا النوع من التحريف باطل بإجماع المسلمين فلا يقول بوقوعه أحد منهم. و من التحريف أيضاً القول بالنقيصة! أي أن المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن، الذي نزل من السماء، و أنه قد ضاع بعضهم على الناس! و المشهور المتسالم عليه بين علماء الشيعة و محققهم بالدليل و البرهان هو عدم وقوع مثل هذا التحريف في القرآن، نعم شذ بعضهم و هم نزر قليل.

أما علماء أهل السنة فقد ذهب جمع منهم إلى القول بوقوع مثل هذا التحريف في القرآن،^(١) قال الرافعي: «فذهبت جماعة من أهل

→ «... و كان من نبيهم الكتاب أن أقاموا حروفه، و حَرَفُوا حدوده، فهم يروونه و لا يراعونه! و الجهال يُعجبهم حفظهم للرواية، و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية...» (راجع: الوافي: ٥: ٢٧٤).

١- من روايات أهل السنة التي تقول بتحريف النقيصة ما يلي، على سبيل المثال لا الحصر:

❖ في البخاري: ٣: ١٧٢ و مسلم: ١: ٥٤٣ رقم ٢٤٤ «أن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال الرسول: رحمه الله أذكرني كذا و كذا آية أسقطتهن من سورة كذا و كذا».

❖ و في الإتيان: ٢: ٤٠ و ٤١ أن نافعاً روى عن ابن عمر قال: «ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله! و ما يدرية ما كُله؟ قد ذهب منه قرآن كثيراً و لكن ليقُل قد أخذت منه ما ظهراً»

❖ و فيه أيضاً: و روى عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: «كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبي - ص - مأتي آية! فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن»، و راجع ما رواه زر بن حبيش عن أبي بن كعب في ما يرتبط بدعوى نقص سورة الأحزاب أيضاً (منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ٢: ٤٣)

❖ و ذكر السيوطي في الإتيان: ١: ١٠١ قائلاً «أخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث



(١٠٨)..... الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

الكلام ممن لاصناعة لهم إلا الظنّ و التأويل و استخراج الأساليب
الجدلية من كلّ حكم و كلّ قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم من
القرآن شيء، حملاً ما وصفوا من كيفية جمعه»^(١)

و قال الفقيه المحقق و المرجع الكبير السيد الخوئي رحمه الله:
«المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، و أنّ
الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبيّ الأعظم ﷺ،

→ بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبوبكر، و كتبه زيد... و إنّ عمر أتى بأية
الرجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده»، و راجع نصّ ادّعاء عمر في رجم الشيخ
و الشيخة في الإتيان أيضاً: ١: ١٢١ و كذلك في البخاري ٢٦: ٨ و مسلم: ٥: ١١٦.
* و روى ابن أبي داود و ابن الأنباري، عن ابن شهاب قال: «بلغنا أنّه كان أنزل قرآن
كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا وعوه، و لم يُعلم بعدهم
و يكتب...» (منتخب كنز العمال بهامش مسند احمد بن حنبل: ٢: ٥٠).
* و روى المسور بن مخرمة قال: «قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أنزل
علينا: أنّ جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة. فإنّا لانجدها؟ قال: أسقطت فيما أسقط
من القرآن» (الإتيان: ٢: ٤٢).

* و قد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع! و الحفدا في مصحف ابن عباس
و أبي بن كعب: «اللّهمّ إنّنا نستعينك و نستغفرك و نشني عليك و لانكفرك و نخلع
و نترك من يفجرك اللّهمّ اياك نعبد و لك نصليّ و نسجد و اليك نسعى و نحفد نرجو
رحمتك و نخشى عذابك إنّ عذابك بالكافرين ملحق» (راجع: الإتيان: ١:
١١٢ و ١١٣).

* و روى أبو حرب ابن أبي الأسود، عن أبيه قال: «بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء
أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل
البصرة و قراؤهم، فاتلوه، و لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب
من كان قبلكم، و إنا كنا نقرأ سورة كنّا نشبهها في الطول و الشدّة ببراءة فأنسيتها،
غير أنّي قد حفظت منها: لو كان لابن آدم و اديان من مال لا يبتغي و ادياً ثالثاً
و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. و كنّا نقرأ سورة كنّا نشبهها بإحدى المسبحات
فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب
شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» (صحيح مسلم: ٣: ١٠٠)
١- إعجاز القرآن، ٤١.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة (١٠٩)

وقد صرّح بذلك كثير من الأعلام، منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه، وقد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية، ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وصرّح بذلك في أوّل تفسيره «التبيان»، ونقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدى السيّد المرتضى، واستدلّاه على ذلك بأنّه دليل، ومنهم المفسّر الشهير الطبرسي في مقدّمة تفسيره «مجمع البيان»، ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» وادّعى الإجماع على ذلك، ومنهم العلامة الجليل الشّهستاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقى» ونسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابه^(١) ومنهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد الجواد البلاغي في مقدّمة تفسيره «آلاء الرحمن»، وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم: منهم شيخ المشايخ المفيد، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي، والمحقق القاضي نور الله، وأضرابهم، وممن يظهر منه القول بعدم التحريف: كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ولم يتعرض للتحريف، فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولى بالذكر من إحراق المصحف وغيره!^(٢)

و هناك الكثير من علماء الشيعة القائلين بعدم التحريف ممن

١- أي: الوافي: ٥: ٢٧٤ وعلم اليقين: ١٣٠.

٢- البيان في تفسير القرآن: ٢١٨ - ٢١٩.

(١١٠) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

لم يذكرهم السيّد الخوئي رحمته الله، مع كلّ هذا نلاحظ أنّ ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» بعد نقله لكلا القولين يزعم أنّ رأي الشيعة في قضية وقوع التحريف أو عدم وقوعه هو رأي ذلك النزر القليل من علمائهم القائلين بإمكان وقوع التحريف بالنقيصة! متعمّداً ترك الرأي المشهور المتسالم عليه عند جلّ علماء الشيعة وهو القول بعدم وقوع التحريف، زاعماً أنّ هذا الرأي المشهور عند جلّ علماء الشيعة محمول على التقيّة! فقال إنّ القول بعدم التحريف لعلّه تقيّة! إنّ القفاري هذا لم يكشف عن جهله فقط في هذا الإدّعاء المضحك المبكي! بل كشف عن قلّة عقله أيضاً! ذلك لأنه تصوّر أنّ التقيّة داخلة حتّى في المباحثات العلميّة الصرفة في الحوزات العلميّة الشيعيّة وفي دروس بحوثها العليا!

ولو كان الأمر كذلك لأصبح من المستحيل على المتتبع أن يتعرّف على رأي الشيعة المتبنّي حقيقة في قضية من القضايا! ولا يقول بهذا الاّ مستخفّ بعقله قبل عقول الآخرين!

هذا بيان ما في «البيان»، فمن هو الخبيث يا قفاري!

قال القفاري في هجومه الظالم على علماء الشيعة المعاصرين: «درج بعض شيوخهم المعاصرين على التظاهر بإنكار هذه الفرية والدفاع عن كتاب الله سبحانه... لكنّك تلاحظ المنكر في فلتات لسانه، و ترى الباطل يحاول دسّه في الخفاء هنا وهناك... ومن أخبث من سلك هذا الطريق شيخهم الخوئي في تفسيره «البيان»،

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة (١١١)

فهو يقرّر: «أنّ المشهور بين علماء الشيعة و محقّقيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف» و لكنّه يقطع بصحّة جملة من روايات التحريف فيقول: «إنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، و لأقلّ من الإطمئنان بذلك، و فيها ما روي بطريق معتبر.»^(١)

و بعد مراجعتنا لكتاب «البيان» علمنا أنّ القفاري قد حرّف كلام السيّد الخوئي عليه السلام عن موضعه باقتطاع هذا القسم من كلامه و تركه لبقية كلام السيّد عليه السلام عمداً حتّى يتحقّق له إظهار ما يهوى من دون الحقّ، في حين أنّ السيّد الخوئي عليه السلام كان في معرض الردّ على القول بالتحريف، و في الإجابة عن هذه الشبهة خاصة، و هي: «أنّ الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام قد دلّت على تحريف القرآن فلا بدّ من القول به».

و كان ردّ السيّد الخوئي عليه السلام: «و الجواب: أنّ هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه، و توضيح ذلك: أنّ كثيراً من الروايات، و إن كانت ضعيفة السند، فإنّ جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمّد السيّاري الذي اتّفق علماء الرجال على فساد مذهبه، و أنّه يقول بالتناسخ، و من علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنّه كذاب، و أنّه فاسد المذهب، إلّا أنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام، و لأقلّ

(١١٢) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

من الإطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر، فلاحاجة بنا إلى التكلّم في سند كلّ رواية بخصوصها»^(١).

ثمّ يعرض السيّد الخوئي رحمه الله طوائف أربع من الروايات التي يتبادر للذهن من ظاهرها وقوع التحريف في القرآن، ويجب بصدّد كلّ طائفة منها.

و من جوابه بصدّد الطائفة الأولى أنّ هذه الطائفة ناظرة إلى حمل الآيات المذكورة فيها على غير معانيها، وليس إلى التحريف بمعنى الزيادة أو النقص في القرآن، وأمّا الرواية الأخيرة منها وهي: «قال أبو عبد الله عليه السلام: أصحاب العريّة يحرفون كلام الله عزّ وجلّ عن مواضعه» فأجاب بصددها: «أنّ الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القراء وإعمال اجتهاداتهم في القراءات، و مرجع ذلك إلى الاختلاف في كيفية القراءة مع التحفّظ على جوهر القرآن وأصله...»^(٢)

أمّا الطائفة الثانية: وهي الروايات التي دلّت على أنّ بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الائمة عليهم السلام وهي كثيرة، فقد قال السيّد الخوئي رحمه الله بصددها: «والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أنّا قد أوضحنا فيما تقدّم أنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بدّ من حمل هذه

١- البيان: ٢٤٥-٢٤٦.

٢- راجع: البيان، ٢٤٦-٢٤٨.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة (١١٣)

الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلا بدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها الكتاب، والسنة، والأدلة المتقدّمة على نفي التحريف، وقد دلّت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة، وأنّ ما خالف الكتاب منها يجب طرحه وضره عرض الجدار»^(١)

أمّا الطائفة الثالثة: وهي الروايات التي دلّت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان، وأنّ الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرت بعض

١- راجع: البيان: ٢٤٩ - ٢٥٠ / وقال السيّد الخوئي رحمته الله: «وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يُذَكَّرْ صَرِيحاً فِي الْقُرْآنِ: حَدِيثُ الْغَدِيرِ، فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أَمَّا نَصَبَ عَلِيّاً بِأَمْرِ اللَّهِ، وَبَعْدَ أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ التَّأَكِيدُ فِي ذَلِكَ، وَبَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ بِالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ، وَلَوْ كَانَ إِسْمُ «عَلِيٍّ» مَذْكُوراً فِي الْقُرْآنِ لَمْ يَحْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ النَّصْبِ، وَلا إِلَى تَهْيِئَةِ ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ الْحَافِلِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا خَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ، لِيَحْتَاجَ إِلَى التَّأَكِيدِ فِي أَمْرِ التَّبْلِيغِ. وَعَلَى الْجُمْلَةِ: فَصَحَّةُ حَدِيثِ الْغَدِيرِ تَوْجِبُ الْحُكْمَ بِكَذِبِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ أَسْمَاءَ الْأَئِمَّةِ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ، وَلا سِيَّما أَنَّ حَدِيثَ الْغَدِيرِ كَانَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَنَزُولِ عَامَةِ الْقُرْآنِ وَشِوَعِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ... وَيعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروّية في الكافي: قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ / النساء: ٥٩»

قال: فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام. فقلت له: إنّ الناس يقولون: فماله لم يُسمَ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال عليه السلام: فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يُسمَ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً؛ حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم... (راجع: الكافي: ١: ٢٨٦ - ٢٨٨ حديث رقم ١) فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، وموضحة للمراد منها، وأنّ ذكر إسم أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير... (راجع: البيان: ٢٥٠ - ٢٥١)

(١١٤) الخلط بين مذهب الشيعة ومذاهب أخرى

الكلمات و جعلت مكانها كلمات أخرى، فقد أجاب السيّد الخوئي رحمه الله بصدها قائلاً: «والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة بعد الإغضاء عمّا في سندها من الضعف أنّها مخالفة للكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفاً واحداً حتّى من القائلين بالتحريف. وقد ادّعى الإجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، وأنّ مجموع ما بين الدّفتين كلّ من القرآن، وممن ادّعى الإجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم من الأعظم قدّس الله أسرارهم. وقد تقدّمت رواية الإحتجاج الدّالة على عدم الزيادة في القرآن.»^(١)

وأما الطائفة الرابعة: وهي الروايات التي دلّت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط، فقد قال السيّد الخوئي بصدها: «والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أنّه لا بدّ من حملها على ما تقدّم في معنى الزيادات في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢) وإنّ لم يمكن ذلك

١- راجع: البيان: ٢٥٢ - ٢٥٣.

٢- قال السيّد الخوئي رحمه الله بصدد مصحف أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ وجود مصحف لأمر المؤمنين عليه السلام يغيّر القرآن الموجود في ترتيب السور ممّا لا ينبغي الشك فيه، وتسلم العلماء الأعلام على وجوده أغناً عن التكلّف لإثباته، كما أنّ اشتغال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وإن كان صحيحاً إلا أنّه لادلالة في ذلك على أنّ هذه الزيادات كانت من القرآن وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد... فليس كلّ ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يُستفاد من الروايات في هذه المقام أنّ مصحف علي عليه السلام كان مشتتلاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً، ولادلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات من القرآن، وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء



الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة (١١٥)

الحمل في جملة منها فلا بدّ من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنة... على أنّ أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند، وبعضها لا يحتمل صدقه في نفسه، وقد صرّح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها... وعن المحقّق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، ونقله عن المحقّق الكركي الذي صنّف في ذلك رسالة مستقلة، و ذكر فيها: «أنّ ما دلّ من الروايات على النقصية لا بدّ من تأويلها، أو طرحها، فإنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب، والسنة المتواترة، والإجماع، ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه، وجب طرحه»، أقول: أشار المحقّق الكركي بكلامه هذا إلى ما أشرنا إليه - سابقاً - من أنّ الروايات المتواترة قد دلّت على أنّ الروايات إذا خالفت القرآن لا بدّ من طرحها، فمن تلك الروايات: ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن عليّ بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (١) (٢)

-
- المنافيقين في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ ذكر أسمائهم لا بدّ وأن يكون بعنوان التفسير» (راجع: البيان في تفسير القرآن: ٢٤٣ - ٢٤٠).
- ١- وسائل الشيعة: ١٨: ٧٨ رقم ١٠ / دار إحياء التراث العربي - بيروت / عن أمالي الصدوق و عن محاسن البرقي / و رواه الكليني في الكافي: ١: ٦٩ رقم ١ / دار الأضواء - بيروت.
- ٢- راجع: البيان في تفسير القرآن: ٢٥٣ - ٢٥٤.

(١١٦) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

و في ختام بحثه يقرّر السيّد الخوئي رحمته الله هذه النتيجة فيقول: «و ممّا ذكرناه: قد تبين للقارئ أنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة و خيال، لا يقول به إلاّ من ضعف عقله، أو لم يتأمل في أطرافه حقّ التأمل، أو من ألجأه اليه حبّ القول به، و الحبّ يعمي و يصمّ، و أمّا العاقل المنصف المتدبّر فلا يشك في بطلانه و خرافته»^(١).
هذا بيان ما في «البيان»! فمن هو الخبيث يا قفاري؟!

* الاعتماد على كتب المتعصبين الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام!

لقد ادّعى المؤلّف ناصر القفاري في الجزء الأوّل من كتابه بأنّ ما يورده من عقائد الإماميّة قد نقله عن كتبهم المعتمدة و رواياتهم المستفيضة، فقال في الجزء الأوّل، ص ٢٧ «والخلاصة أنّي لم أعمد إلاّ إلى كتبهم المعتمدة عندهم في النقل و الاقتباس لتصوير المذهب، و لم أذكر من عقائدهم في هذه الرسالة إلاّ ما استفاضة أخبارهم به و أقرّه شيوخهم!».

وليته كان صادقاً في دعواه هذه!!

فقد اعترف: «أنّ هذه الطائفة بمصدرها في التلقي، و كتبها و تراثها، تمثّل نحلة كبرى»^(٢).

و قد ادّعى أنّه حاول جهد الطاقة أن يكون موضوعيّاً، و قال: «والموضوعية الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، و أن تختار

١- البيان في تفسير القرآن: ٢٧٨

٢- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٠.

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة..... (١١٧)

المصادر المعتمدة عندهم، وأن تعدل في الحكم، وأن تحرص على الروايات الموثقة عندهم أو المستفيضة في مصادرهم ما أمكن!!»^(١) لكنّه اعتمد في تكوين فكرته عن مذهب الشيعة و تصوراته عنهم على كلمات و تشويهات المتعصبين الجاقدين على الشيعة كجارالله^(٢)، وإحسان إلهي ظهير^(٣) وابن تيمية، وغيرهم! إن من يقرأ كتابه يلاحظ باديء ذي بدء: أنّه يشرع في كتابه هذا برسم تصوّرات خاطئة عن الشيعة، كان قد أخذها بلا تدبّر عن هؤلاء الحاقدين، متأثراً بأفكارهم و تصوراتهم الفاسدة! أفليس من المغالطة في الحقّ أن يعتمد على أفكار هؤلاء

١- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٦.

٢- موسى جارالله: مرت بنا ترجمته من قبل في هذا المدخل فراجع.

٣- إحسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي: رجل من الباكستان من أهالي لاهور، ولد ١٣٦٠ هجرى قمرى، أكمل دراسته في «الجامعة السلفية» بفيصل آباد، و نال شهادة الماجستير من كليّة الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة! ثم حصل على عدد آخر من شهادات الماجستير كذلك! من جامعة البنجاب، أتقن الفارسيّة والعربية و شغل منصب الأمين العام لجماعة أهل الحديث في باكستان! و ترأّس تحرير مجلة ترجمان الحديث! وله عدة مؤلفات في الفرق والعقائد منها: «القاديانية» و «الشيعة والسنة» و «الاسماعيلية: تأريخ و عقائد».

و هو عضو بارز مؤثر في حزب «الصحابة» في ولاية البنجاب في باكستان و يعتبر أكثر أعضاء هذه الجماعة إفراطاً و تشدّداً، و قد سعى كثيراً في خلق الفتن والتفريق بين المسلمين في باكستان، و كان من الأسباب الكبرى في خلق التوتر الداخلي في باكستان، والذي قُتل بسببه آلاف من المسلمين هناك!

و أثناء ما كان ينشر سموم التفرقة بين المسلمين و يشحن بعضهم ضد بعض في احتفال لجماعته، أصيب إصابات شديدة نتيجة انفجار قبيلة في ذلك الإحتفال! و لأهميته الخاصة عند الحكومة السعودية فقد نقل إلى المستشفى العسكري بالرياض! لكنّه توفي على أثر هذه الإصابة، سنة ١٤٠٧ هـ و دفن في المدينة المنورة!

(١١٨) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

الحاقدين و يدّعي أنّه يدرس المذهب بأمانة و موضوعيّة صادقة و يعدل في الحكم!؟

إنّ القاريء - غير ذي الدراية و الإطلاع و المعرفة - قد تغرّه عذوبة تعابير ناصر القفاري و قوالب الألفاظ و المصطلحات الجميلة التي استخدمها، فيتأثر كثيراً أو قليلاً بدعاواه، و يصدّق افتراءاته! ما لم يراجع مصادر الشيعة و علمائهم لكي تتكشف له الحقيقة و يعلم مدى الجناية التي جناها هذا القفاري على الشيعة! و يطّلع على فظاعة خيائته في النقل، و جوره في الحكم، و بعده عن الموضوعية، و اعتماده على كلمات المتعصبين بدلاً من الأخذ عن المنصفين المحقّقين من علماء أهل السنّة، فضلاً عن آثار و كتب و مقالات علماء الشيعة و محقّقيهم و مجتهديه!

لاندّعي شططاً إذا قلنا إنّهُ لا يخلو مبحث أو موضوع إلّا و كان القفاري فيه متأثراً بأفكار ابن تيميّة - الذي سوف نتعرض في الردّ التفصيليّ لدراسة شخصيته و مستواه العلمي الواقعي من خلال ترجمة دقيقة وافية، حتّى يتبيّن للقاريء مدى صحّة أفكار هذا الرجل أو فسادها و عقمها و انحرافها عن الصراط القويم، و ما تعرّض له ابن تيميّة من هجمات علمية من قبل علماء زمانه.

إنّ العصيّة داء الجهلاء العضال الذي تعمى به قلوبهم عن رؤية الحقّ و معرفته.

أعاذنا الله تعالى من ذلك و جميع المؤمنين.

*** عدم التفريق بين المذهب كراي و نظرية و بين عمل المنتسبين إليه!**

لاشكّ أنّ من طرق معرفة بعض آداب و تعاليم مذهب من المذاهب ملاحظة سلوك و نوع التزامات أتباع هذا المذهب المتمسّكين به، و هذه طريقة مألوفة عندالباحثين في فرع «علم الاجتماع»، و عند المحقّقين في المذاهب والأديان.

لكنّ هنا ملاحظة دقيقة لاتخفى على البصير الخبير في مثل هذه الدراسات!

وهي: أنّ مطلق سلوك أتباع مذهب ما لا يكون دليلاً على أنّ كلّ ما يصدر منهم من تصرفات و سلوك هو من آداب المذهب و تعاليمه. و لهذا يُبحث في علم الأصول عن سيرة المتشرّعة بما هي طريقة لإثبات السُنّة، فيقول علماء الأصول: إنّ سيرة المتشرّعة إنّما تكون من طرق إثبات السُنّة فيما إذا توفرت فيها شروط الحجّة لامطلقاً، و من تلك الشروط إحراز اتصالها بصاحب الشريعة ليُعلم اتخاذها من نفس الشريعة، و إلاّ فسيرة المتشرّعة لو لم يُحرز فيها ذلك، أو أُحرز عدمه، بأن عُلِمَ اتخاذها من السنن الوطنية أو الآداب الشعبية، فلا تكون حجةً أصلاً.

(١٢٠) الخلط بين مذهب الشيعة و مذاهب أخرى

هذا النكتة الدقيقة كانت قد خفيت على الدكتور ناصر القفاري، أو كان قد تغافل عنها! وهو يدعي التحقيق في مذهب الشيعة الإمامية؟!

إن من البديهي أن عمل الإنسان المنسوب إلى التشيع على الإطلاق لا يكون حجة ولا دليلاً على أن ما عمله هذا الإنسان تجسيد لنظرية المذهب و تعاليمه، إذ ربّما خالف هذا الإنسان المنسوب إلى التشيع مذهبه تساهلاً منه أو تهاوناً أو جهلاً!

فهل من الصحيح أن نؤخذ مذهب الشيعة بكل تصرفات أتباعه، و نقول إن هذه التصرفات مطلقاً تجسيد عملي لما في المذهب من نظرية و تعاليم و آداب؟!

كيف يصحّ هذا و نحن نشاهد اليوم على الصعيد العام في مجتمعات المسلمين عدم إلتزام كثير من المسلمين بأداء الفرائض و الواجبات و بترك المحرمات!

هذه المفاسد قد انتشرت أيما انتشار في عالمنا الإسلامي، هذه إذاعات الكثير من بلاد المسلمين لاتكاد تكلّ أو تملّ من بثّ الغناء الفاحش الماجن المحرّم، و هذه الإذاعات المرئية تتفنّن بنشر الرقص و الخلاعة و الأفلام الماجنة المخالفة لأخلاق و آداب و تشريعات الإسلام، و هذه نساء المسلمين سافرات مستهترات شبه عاريات أمام الأجانب في الشوارع و الأندية و على السواحل، و هذه الخمور تباع علانية، و غير ذلك كثير.

فهل كلّ هذا تجسيد عملي لنظرية الإسلام و آدابه و تعاليمه؟!

الردّ على كتاب أصول مذهب الشيعة (١٢١)

هل هناك مجنون فضلاً عن العقلاء - يقول بهذا؟!
هل يتوهمّ مسلم - أو غير مسلم! - أنّ الإسلام يسوّغ هذه
المحرّمات! و يبيح ترك الصلاة التي هي أهمّ الفرائض، و ما إلى
ذلك...؟!

لقد قال أحد المستشرقين عند زيارته لبلاد المسلمين: «إني
رأيت المسلمين خلواً من الإسلام!» و كان منصفاً بقوله هذا!!
فما لهذا القفاري يأبى أن يكون منصفاً حين خلط بين معالم
المذهب و أصوله و تعاليمه و آدابه و بين عمل المنتحلين له
و سلوكهم فيما خالف صريح فتاوى علمائهم، و خالف صريح
الروايات و الآداب و التعاليم و الوصايا المأثورة عن أئمة
أهل البيت عليهم السلام.

ما لهذا القفاري أصرّ على ألاّ يكون منصفاً حين أبى أن يعتبر
نظرية المذهب و آدابه و تعاليمه دليلاً لتقييم المذهب و الحكم عليه،
و اعتبر عمل فسقة من أتباع هذا المذهب دليلاً على بطلان أصل
المذهب لا دليلاً على بطلان عملهم و فسقهم و مخالفتهم لرأي
المذهب و نظريته؟! فهل ثمة ظلم أبشع من هذا الظلم؟!

❏ كلمة الختام...

لا يخفى على بصير أن كل ما قدمناه من ملاحظات و مؤاخذات علمية على كتاب «أصول مذهب الشيعة» لناصر القفاري كاشف عن الأصل الأصيل في منهجية هذا الرجل التي اعتمدها و تعمدها من بداية كتابه إلى نهايته، وهذا الأصل هو اعتماد أسلوب المغالطة التي يعتمدها عادة من لم يتمكن من إقامة البرهان الصحيح و الحجة الواضحة، و الذي يرجم بالغيب و يتناوش من مكان بعيد، فيخلط بين حقّ و باطل، و خيال و حقيقة، في مقدمات قياسية خاطئة ليستنتج ما يحبّ إثباته و إن تيقن من عدم ثبوته! غمطاً للحقّ و الحقيقة و إحياء للباطل.

إنّ منهج المغالطة الذي اعتمده ناصر القفاري في كتابه المفروض «أصول مذهب الشيعة» دليل واضح على أن الغاية الأساس والغرض الرئيس من هذا الكتاب هو تنفير المسلمين من مذهب أهل البيت (عليه السلام)، هذا المذهب الذي لم تزل الأيام و الوقائع والمشكلات التي تعاني منها الأمة في عالمنا الإسلامي على الصعيد الإعتقادي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي جميعاً تكشف عن

حقائيقه و تؤكد أحقيته بالإتباع.

لقد كان ينبغي لناصر القفاري هذا أن يكون منصفاً - على الأقل - إن لم تكن الحقيقة ضالته، فيعتبر مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية أحد المذاهب الإسلامية على حد سواء مع المذاهب الأربعة عند أهل السنة كما يقرر ذلك المنصفون من علمائهم! هذا شيخ الأزهر (محمود شلتوت) كان قد سمح لجامعة الأزهر بدراسة هذا المذهب كسائر المذاهب الأربعة، وقال بأن العمل على وفقه صحيح و مجزٍ و اليك نص كلامه:

قيل لفضيلته: إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته و معاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، و ليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية و الزيدية. فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية؟
قال:

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه إتباع مذهب معين، بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادي ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، و المدونة أحكامها في كتبها الخاصة، و لمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مذهب كان - و لا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن

الرد على كتاب أصول مذهب الشيعة (١٢٥)

يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذهب معين، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّرونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.^(١)

ونضيف إلى ذلك: أنّ المذاهب الأربعة: الشافعية، والمالكية، والحنبلية، والحنفية، ليست مشتركة في جميع مسائلها أصولاً وفروعاً، بل فيها ما هو متفق عليه، وبينهما ما هو مختلف عليه وهو كثير، حتّى في المسائل الكلامية.

ومّا يؤسف له أنّ ناصر القفاري كان يُغض الطرف عمداً عن مشتركات مذهب الشيعة الإمامية مع سائر المذاهب الإسلامية في الأصول وفي الفروع، ويتعمّد أن يرسم في ذهن القاريء صورة لهذا المذهب مشوّهة ومباينة للإسلام حقداً منه على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم!

ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم!

فأعدّ لذلك اليوم الجواب يا قفاري! ولا تنفع الظالمين معذرتهم لأنّ الحاكم هو الشاهد!
والحمد لله رب العالمين.

١: راجع: رسالة الإسلام / مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة / السنة الحادية عشرة / العدد الثالث.

الفهرس

- ٧ * المدخل
- ١٤ * و ظلم ذوي القربى أشدُّ و ألمُ.....!!!
- * التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت: و كلمات علماء الشيعة و مفكرهم: ٢١
- النموذج الأول:
- ٢٢ الشيعة يصفون أئمتهم بصفات الله و يسمونهم بأسمائه!
- النموذج الثاني:
- ٢٥ هل التضرع إلى الله تعالى عند قبور الأئمة شرك؟!
- النموذج الثالث:
- ٢٨ رأي الشيعة في مسألة رؤية الله سبحانه.....
- النموذج الرابع:
- ٣١ للشيعة ثلاثة عشر إماماً بزعم القفاري!
- النموذج الخامس:
- ٣٢ تفويض الأمور من قبل الله تعالى إلى الأئمة عليهم السلام.....
- النموذج السادس:
- ٣٥ هل الناس جميعاً عبيد الأئمة عليهم السلام?
- النموذج السابع:
- ٣٨ العلامة الأمينى و القول بتحريف القرآن.....
- *: الافتراء على الشيعة الامامية و اتهامهم بما ليس فيهم..... ٤١
- ١- الاستشفاء بتراب قبر الحسين من دون رب الأرباب..... ٤١

- ٢- هل تتخذ الشيعة قبور ائمتهم قبله؟ ٤٤
- ٣- هل الشيعة هم الذين احدثوا الشرك في أمة محمد ﷺ ٤٨
- الملاحظة الأولى ٥١
- الملاحظة الثانية ٥٢
- الملاحظة الثالثة ٥٢
- الملاحظة الرابعة ٥٣
- الملاحظة الخامسة ٥٥
- ٤- هل للتقية عند الشيعة اصل في كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ ... ٦٠
- ٥- هل يسب الشيعة و يلعنون جميع الصحابة؟ ٦٤
- ٦- هل ادخل الخميني اسمه في الأذان؟! ٧٦
- ٧- هل يتعاون الشيعة مع اليهود؟! ٧٧
- ٨- هل يلعن الشيعة الأمة الاسلامية كلها؟! ٨١
- ٩- هل كتاب «المراجعات» افتعال شيعي و مكيدة رافضة؟! ٨٥
- * الاستناد الى الأحاديث الضعيفة و الشاذة عند الشيعة!! ٨٩
- * الخلط بين مذهب الشيعة الامامية (مذهب أهل البيت ﷺ) و ٩٥
- مذهب أخرى ٩٥
- * التعليل السيء لنظرات الشيعة الموافقة لنظرات أهل السنة!! ٩٧
- * التنكب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب! ١٠١
- * الاغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمة في المباحث! ١٠٥
- * هذا بيان ما في البيان فمن هو الخبيث يا قفاري؟! ١١٠
- * الاعتماد على كتب المتعصبين الحاقدين على مذهب أهل البيت ﷺ! ١١٥
- * عدم التفريق بين المذاهب كراي و نظرية بين عمل المنتسبين اليه! .. ١١٩
- * كلمة الختام ١٢٣

